

العيد أعياد

بقلم : عبد القادر الهاني

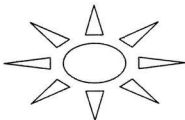
شهر مارس لهذه السنة هو شهر الأعياد بامتياز، فيه سنعيش مناسبة دينية كبرى هي عيد ميلاد سيّد الأنبياء والرسل، محمد ابن عبد الله الصادق الأمين الذي جاء بالرسالة فأدّى الأمانة ونصح الأمة فاللّهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما. هي مناسبة للتذكير بأنّ ديننا الحنيف هو دين السّلام والأمن والأمان، دين التأخي والتآزر والوفاء، دين التّقدم والوسطية والاعتدال. فعسى أن يراجع المغالون والمتعتّون أنفسهم ويستفتون ضمائرهم فلا يلقون الأحكام جزافا فيضّلون ويُضَلّون.

وفيه كذلك سنحتفل بعيد الاستقلال في ذكراه الثانية والخمسين، إنّه عيد العزّة والكرامة التي استعادها شعبنا بعد كفاح مرير وتضحيات جسام قام بها كل التونسيين رجالا ونساء كبارا وصغارا مثلما أن الجميع يعيشون اليوم نخوتها ويساهمون في الإضافة إلى المكاسب التي حققتها الأجيال المتعاقبة. أليست اليوم تونس حضيرة عمل تنشئ في كل الجهات و تسهر عليها كل الفئات.

وفي اليوم الواحد والعشرين منه، سيفرح الشعب كلّّه بعيد شبابه

موضع الثقة في حاضره وعربون النجاح في مسيرته ومناطق
الاطمئنان على مستقبله، فالشباب كان وما يزال وسيبقى القلب
الناضج والفكر الوقاد والعمل الدؤوب.

كذلك في اليوم الثالث والعشرين من الشهر ذاته تحتفل تونس
مثل سائر بلدان العالم باليوم العالمي للرصد الجوي الذي وضع هذا
العام تحت شعار "مراقبة كوكبنا من أجل مستقبل أفضل" وهو
احتفال له دلالاته التي لا ينبغي الغفلة عنها بعدم إعطائها ما
تستحقه من الاهتمام والتدبر فالرصد الجوي اليوم واحد من
الموضوعات العلمية الصرفة ذات التطبيقات في مختلف الأنشطة
الاقتصادية على غرار القطاع الفلاحي والصيد البحري والملاحة
الجوية والبحرية والسياحية.
أعياد و ذكريات دينية ووطنية جميعها مناسبات للفرح والتفكير
وتجديد العزم وتقلد الحزم من أجل الإضافة التي هي سر الحياة
ونكهتها.



للفاء والذكرى

في أدب البشير التلمودي :

الإنسان لا يولد مرة واحدة ولا يموت مرة واحدة

بقلم : بشير الجلجلي

من أين أبدا بعد الرحيل ؟! رحيل الأديب الكبير البشير التلمودي
رحيل الشخص الأول، ومواراة الثرى الشخص الثاني وذوبان الشخص
الثالث في الفضاء نبيًا. من أين أبدا الاعترافات "اعترافات الشخص
الثالث" (1) .

لم لم يطاوعني القلم كعادته ؟ لم هذا العناد. ماذا بقي الرحيل. رحل
التلمودي في صمت: أصدقاء متناثرون، وثقافة عارية الرأس. أين
الأصدقاء والأدباء ؟ لم يأت هناك إلا من أحب بصدق وعاش لحظة
الولادة. رحل التلمودي والعيون لا تبصر بعده إلا ضبابا، وأوراقه
متناثرة وهو يقول :

... لا يهم ...

أن بقيت كلماتي وأوراقي مبعثرة كما

تركها

أن خلود الآثار ...

فوق نسيان الزمن ...

(...) لا تقل لمن يسأل عني

أنني رحلت !

لأنني على يقين من أنني سأعود ...

وإن كنت لا اعرف متى ؟

... وأين سأحط الرحال ثانية

(بلا وصية ص 130)

عرفت هذه الاعترافات النور وصادقتنا تلد معها، قالها يوصيني يوما
ويحفظني على الملمة شتات أوراقه ودفاتره من النسيان (بلا وصية)...
هي وصية التلمودي لي ولك ولمن أحبه ...

عرف القلم وجوما كبيرا... فكيف سيتنصل من الحياة ويبحث في
ماهية الموت... قدمه حيا في عديد المجلات والصحف... والجلسات
الأدبية والمحاضرات في دور الثقافة والمكتبات. فكان يقول دوما هو
الأديب... الأديب الكبير... بصيغة الحاضر... فكيف سيقول :
"كان... كيت كيت ...!" بمعنى كان كذا وكذا بعبارة ابن رشيق فهل
سيطاوعني بصيغة الماضي.

خصام عرفته والقلم حتى اتفقنا على مواصلة الكتابة لكن بصيغة
الحاضر واعتبار التلمودي حيا مادام يخلق بأدبه في فضاء الإبداع. نعم
هذا الأديب الضي بدا طفلا يلعب بكحات أهداها إياه الشهيد فرحات
حشاد : "فكان فرحات حشاد على حق حين سأل والد الكاتب هل
سيكون هذا الطفل نقايا مثل والده ؟ (...) وكانت هدية حشاد

للطفل البشير كحات من نار لا من بلور. نار بدأها والده بالسجن وواصلها حشاد بالدم المسفوك وأنهاها التقابي - الصغير ، واعني البشير التلمودي بالسجن الأبدي في الذات الثائرة جراء الدفاع عن الكادح - المثقف " (2).

عاد التلمودي كما بدأ طفلاً، يواصل الطريق كالأطفال وهم يلعبون (...). لا يحس بالزمن يقول متحدثاً عن نفسه : "من صفاته عدم الإيمان بالزمن وتأجيله الدائم للأشياء كما لو انه سيعيش ألف سنة" هذه الأنا الحاملة - الأنا التي تعيش البراءة وفحاة تتضخم وتبحث عن وجودها في كيانها المفعم بالحب (كتب أكثر من 1500 رسالة حب إلى المرأة التي أحبها) يقول :

ARCHIVE ... أعترف ...

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>
بأنني كنت على امتداد الرخصة

... طفلاً على الدوام

... لم أحاول أن اكبر يوماً

(...) أتجاهل الزمن الهارب باستمرار

(المناجاة الأخرى ص 94)

هذا اليوم شاهدت التلمودي حياً ... كما كانت رغبتني: أريد صديقي (كما قالت ابنته كليب لعمها الشاعر الماهل : أريد أبي حياً)..

أحسست أنه يرى ويسمع ويهمس ويتكلم بصمت. نعم تذكرت

قوله "الإنسان لا يولد مرة ولا يموت مرة واحدة وقد يكون موجودا في مكان آخر في نفس الوقت" نعم هكذا يقول ... وهكذا كانت فلسفة الشخص الثالث واعترافاته. هي فلسفة لا تعترف بالفناء. أنا الآن ميت وككل ميت لا أحرك ساكنا لكني أسمع وأتكلم بصوت لا يسمعه الناس العاديين لأنهم تعودوا على الصمت المميت. فلو صبروا عليّ قليلا وتجردوا من جهلهم وعاداتهم وإصرارهم لاستمعوا إليّ ورأوا مني العجب العجائب" (المقدمة ص 12).

هكذا يعترف من تحت الزمن وهو يحتضن البراءة .. نعم لحسن حظه أنه وارى الثرى وفي حضنه طفلان رماهما القدر فجأة... نعم لقد أنصفه القدر هذه المرة وأغدق عليه بالطفولة حتى في قبره.. كأنه يتحدى الصامتين بثمره الخلود لذلك يقول: "سأحاول أن ابقى حيا حتى احضر يوم ميلادي".

<http://Archivebeta.Sakhrit.co>

ينتظر التلمودي الميلاد من جديد لتبدأ رحلة الحياة حياة الشخص الثالث. رحلة ميلاد أول وحياة أخرى وميلاد ثالث "فهو شخص ثالث لا يعرفه أحد".

من هنا، من مقبرة -الزلاج- مقبرة الأحياء، نادى التلمودي بأعلى صوته كما تعودني القول: "فلان رضي الله عنه": "أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت" اسمعوا إلى الصوت الحق. أنا الآن في ملكوت الخلود فلا تذهبوا.. فأنا .. آت" هذه رسالة من الأديب الخالد إلى الأصدقاء الأدباء المخلصين دعوة إلى

التحابب بعدما ألغز الأدب إلغاماً. هي رسالة بقي يتنفسها الأديب الخالد حتى آخر يوم في حياته.. فقد حضر إلى باب سوقة في آخر شهر جانفي الماضي لحضور تكريم الشاعرة سلوى الرابحي بدار الثقافة بوليمان. واستمعنا أنه يحدث ويقول الملح ويتندر كعادته.. امتطينا سيارة الأجرة كعادتنا إلى حلق الوادي . وهو يحدث ويسأل ويعد باللقاء القادم. وأحيانا يلوم وأنا أصغي أنصت وكأني لا أفهم واعد بإثاء الكتاب المشترك الذي بدأناه منذ سنة ونيف: "الصوت والصدى حوار البشريين : التلمودي والجلجلي " ولكن أين الفرصة متى اللقاء ؟! وأسفاه على رجل من عصر العمالقة بلا وصية رجل، بلا عنوان تركنا على قارعة طريق المعصية... معصية الوفي الدائم "الأدب" .

من هنا بدأت الرحلة ولم تنته إلا عند أصحاب الأرقام... لأن كبه المتناثرة هنا وهناك ومخطوطاته المخيرة تحدثنا عن الذات المعذبة والأنا الحاملة . نعم ألفيناه الرجل القوي الشفاف الذي يدمن الحياة والكتابة. بدأ حياته قصاصاً وأنهاها روائياً برواية مخطوطة بعنوان "أربعون ثانية قبل الرحيل" والعنوان يعبر عن اختزال أربعين سنة ونيف من امتطاء صهوة القلم. فحتى مهنته كمدير دار الثقافة ببترت ومدنين وقابس كانت تصب في المسار نفسه... مؤسساً لنادي "جماعة فوق السور (1990-2000)" ببترت ونادي "أصوات الحرية" بالمكتبة العمومية بالندنان بمشاركةتنا المتواضعة، (سنة 2000) هذا النادي هو من اليوم "النادي الأدبي البشير التلمودي".

حياة مليئة بالأدب والحب والصدقة وتشجيع الناشئين حتى يومه
الأخير في الساحة الإبداعية : معلنا بأعلى صوته :

" أنا والحق من أن ما سأصرح به ... قليل
جدا ...

مقارنة مع ما كان يجب عليّ قوله
... لكن

أنا على يقين من أن حديث الجسد
الخاوي

... لن يعوضه شيء "

(حديث الروح ص 108)

فأي إحساس بالغد ؟ أي إحساس بما بعد الموت ... ؟ يبحث من
خلال تأملاته عن الروح الصائغة ... روح بلا نهاية . روح ينهش فيها
الجسد الخاوي. روح تبحث عن الوفي في كل شيء يقول :
" أرجوكم ...

أمهلوني لحظة أخرى ... حتى أرتب
أوراق المبعثرة

وأهني وصيقي المؤجلة دوما ...
وأضبط قائمة أصدقائي المخلصين ...
أن لا يشيعني أحد إلى المخطئة ...
خير لي من كل مظاهر النفاق

(...)

كل الدموع بدت لي صناعية كاذبة

... إلا دموع حبياتي الصغيرات

كانت المفاجأة أقوى من أعصابهن

المرهقة

لم يعرفن أبدا ... ما معنى أن يرحل

الإنسان فجأة

ويختفي بلا وداع "

(حديث الروح ص 104)

هكذا كان يفكر في بناته الثلاث وحفيدتيه خوفا عليهن بعد صدمتهن قبل مستتين في الأم الحبيبة ملهمة 1500 رسالة "الراحلة الفاضلة (محرزية)" هكذا كان يفكر في سواه وهو يرقد بين أحضان الوجود.. قال لي أن حياته عدم بعد الراحلة: وفاء دائم وحب لا يستطيعه سواه. كان الشخص الثالث بدأ بعد . فنظر في عيون المشيعين وميز بين الصديق الحزين والمجامل... كان يرى من القبر ما لا يراه أحد يحمل القادم على ظهره حزمة بشرا ! يبحث عن المسكوت عنه. عن الحقيقة في الوجوه المصفرة. يمزج الأنا بالآخر . ويكتب بأحرف ذهبية وصية الميت المسحى بالحلم. حلم ضاع على قارعة الطريق- الأدب ، الطريق الملمغم- طريق الحياة أي إحساس بالوجود ؟! كان يتحدثنا عن هذا اليوم، يوم السبت التاسع من فيفري 2008 يتحدث عن الحاضرين والغائبين، عن

الأصدقاء والرائين. يحدث عن يوم الجنائز التي يراها إجازة على عالم السماء والخلود. وبداية الحياة: "إليه يصعد لكم الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" (سورة فاطر الآية 10) فالكلمة الطيبة ترفعه رسالة حب إلى العالم الخالد. هو التلمودي - الأنا الممتدة على كائن آخر سيعود يوماً. هو البحث المتواصل عن الروح في اللامتهى. بحثاً عن "عودة العشاق" (4) فهو يحلم بهذه العودة ليعيش الطفولة في العقد السادس. فعندما تحدثه تحال قصصه العشرين عشرين حولاً من العمر. يحدثك بأسرار الحياة. ويجعلك تحلم وأنت يقظ بالغد المشرق. والناظر في أفاقه على تعدد مواضعها في الظاهر يجدها تحت "تيمة واحدة" هو "العشق الخالد". فهو يدور بالعشق دورة أسطوانة وكأنه يقول قول بدر شاكر السياب:

ARCHIVE
http://www.arsal.com
هي دورة الأفلاك من عمري

قد تكور لزمانه

هي حلقة دائرية كنهايات قصصه العشرين التي تتوافق مع نهاية التلمودي - الإنسان (5) ذلك أن أفاصيصة جاء على وتيرة واحدة وجرس حب واحد: إما بالتواعد على اللقاء (قصة هيام) أو يحلم يراود البطل وهو ينظر إلى صورتها (قصة الخيال والصورة) أو الإحساس بالسعادة العظمى من خلال ما تشدو به الراقصة (قصة الأغنية الحزينة) أو السير في الظلام البهيم بتذكر طيف الحبيب (قصة حاملة حب) .

فالنهايات مقصودة من التلمودي الذي طالما بحث في دفاتره عن

"عودة العشاق" عليهم يعودوا لتشييد "الملكة العذوبة التلمودية".
هي ملكة البراءة لـ "نهاية رجل شجاع". أرهقه القلم بمحاولته
الوقوف على الحدود القصوى في تغريد خارج السرب... لذلك يطرح
من خلال تأملاته أو أقاصيصه أو جل أعماله سيرة الأنا من منظور
إنساني صرف. يفكر العالم ويجعل الذات في صراع مع الذات بحثاً عن
القادم يقول :

فأنا خيال قادم من عالم السراب...

يعشش في عروقه الضباب...

يبحث كل يوم عن حلم جديد...

يضع من هواجسه أشعة...

للعالم مثالي...

http://www.لايحكمه إنسان عادي.com

يوغل التلمودي في عمق الذات ليعترف من خلالها عن احتمالات
الكينونة. فتبوح الأنا بمسيرة عكسية لهذه الشخصية - الأنا. وهو ما
جعل تأملاته تطوق بالرمز ليصبح العالم قريباً قريباً صريحاً. والوسيلة
للمعرفة والتغلغل في الوجود هي "الحديث" كما عند "مارسيل".
فالحديث عند التلمودي يرفعه إلى حلم جميل لذلك يتلون الأنا
بأشكال مختلفة بين الأسئلة الفلسفية الحارقة والوجود- العدم والمعنى
الرومنسي الحالم والآخر المجهول "فالذاهب إلى المجهول هو الذي يبقى"
(6).

نعم هو أنت البشر التلمودي... لا أحد يستطيعك... أنت الحلم...
والواقع والغد القادم على مهل... لا تحزن... فأعمالك في الذاكرة
منقوشة دون نسيان... دون نسيان:

يا أيتها الروح الثائرة ...

احليني بعيدا حيث شئت...

أو عودي بي إلى مشارف الأحلام

الذهبية

علي أجد بقايا سعادي الآفلة

(توقيعات ص 80) (7)



الهوامش :

- 1- ناقد وباحث جامعي
- 2- كتاب "اعترافات الشخص الثالث" طبعة مؤسسة إمامين 3 تونس 2006 : وهي تأملات فلسفية وجودية: مبنها : تأملات وجودية سورة- ذاتية" في محاضرة تحت عنوان "الأنا والآخر في اعترافات الشخص الثالث للبشر التلمودي" ألقينها في المكتبة العمومية بالمدناني في 27/04/2007 وكذلك بيت الشعر في 24/05/2007 تكريما له بمناسبة صدور كتابه.
- 3- أنظر مجلة الإتحاف السنة 20 حاتف/إيفري 2004: مقال لنا بعنوان "قراءة استطلاعية تحليلية في بعض أعمال البشر التلمودي الأدبية: الانعتاق الدموي نموذجاً" ص 37.
- 4- عودة العشاق : مجموعة قصصية نظم 20 قصة قصيرة عاد فيها المؤلف إلى سنوات الشباب ما بين 1960-1970
- 5- أنظر مقال : البشر الجلجلي : "التلمودي -القصص، التلمودي- الإنسان": تكريم الاديب مع الأديبة فاطمة سليم بدار الثقافة بوليمان باب سويقة 2005.
- 6- هي إجابة محمود درويش على سؤال سأله عن "معنى الشعر" وذلك عند حضوره بكلية الآداب منوبة سنة 2000.
- 7- كل الشواهد التي جاءت بين قوسين هي من كتابه (اعترافات الشخص الثالث) .

بمناسبة انطلاق الاستشارة الوطنية حول المسرح

هل ثمة أزمة نص حقيقية ... ؟

بقلم : منصف الكريمي

أعطيت مؤخرا إشارة انطلاق الاستشارة الوطنية حول المسرح التي أذن بتنظيمها سيادة الرئيس زين العابدين بن علي انطلاقا من حرص سيادته على تشخيص واقع القطاع المسرحي واستشراف آفاقه ضمن التوجهات العامة للدولة وحرصها على العناية بالثقافة ورعاية الإبداع والمبدعين في مختلف الحقول الثقافية حتى تشكل تونس العهد الجديد فسيفساء للفعل الثقافي وتسجل حضور بامتياز في المحافل الثقافية الدولية.

وبالمناسبة، وفي إطار بحثي عن مشاغل المسرح التونسي وقضاياها انطلاقا من اتصالي المباشر بالمبدعين في هذا القطاع باعتباري أشرف على تسيير دار الثقافة عين دراهم وعلى إدارة مهرجان الريحان الوطني الصيفي بعين دراهم، جال بخاطري سؤال حارق حول حقيقة النص المسرحي بتونس ولئن كانت الإجابة عن هذا السؤال تفتح المجال على عدة قراءات يتداخل فيها ماهو واقعي بما هو متصور وتتنوع فيها القراءات السوسيولوجية والسميائية واللسانية والاجتماعية من منظور حديث فإنه بات من الثابت والأكد أن المسرح التونسي الحديث تراوده مشاغل وقضايا متصلة أساسا بالنص المسرحي الذي والحق يقال

يشكو، لا أقول ضعفا من حيث مستواه، ولا نقصا من حيث الكم وإنما فراغا أحيانا من حيث المضمون، ومثل هذا الواقع، في جانب معين منه هو افتقاد النص المسرحي، لا يعني بالضرورة عدم وجود ممثلين مسرحيين على قدر عال من التميز وهذه حقيقة أثبتتها المبدعون في هذا القطاع حتى في المحافل الثقافية العالمية. وإشكالية /النصانية/ كما يحلو لي أن أطلق عليها، هي في الحقيقة إشكالية أعمق من أن تنحصر في قالب فني معين، على غرار المسرح، وإنما هي إشكالية ثقافية بالأساس تشمل أغلب القوالب الفنية، وإن كانت درجة حدتها تتفاوت بين المسرح والأدب مثلا.

ومرد هذا / الفراغ / في رأيي طبعاً، ما للنص المسرحي من خصوصيات وتقنيات وفنيات تتألف في ما بينها ليكون النص في النهاية خلاصة تجربة اجتماعية وجودية أو موقف إيديولوجي يراعي الخصوصيات / الركحية / المميزة للنص المسرحي.

فالكاتب المسرحي أو السيناريست يجب أن يضع نصب عينيه، حين يشرع في / تأسيس / نصه أن المسرح يقوم أساسا على خصوصيات فنية أهمها الحضور الركحي الذي يحتزل هو الآخر عدا النص وجود ممثل وإنارة وقالب فني درامي أو من نوع ألوان مان شو أو غيرهما، ولا ننسى طبعاً وجود متقبل تتنوع قراءاته للنص وزوايا نظره للموضوع.

وشخصياً، أرى أن النص المسرحي، لا يتوفر إلا متى كان الكاتب ابن بيئته يعايش واقعا ما وشعاره في ذلك / لا لتهميش الثقافة ولا لثقافة

التهميش/ وقد توفرت مثل هذه النصوص في فترة من تاريخ ثقافتنا التونسية ومازلنا نلمس بعض بصماتها إلى اليوم، ذلك أنني في أكثر من مرة ، شاهدت مسرحيات للمرحوم نورالدين عزيزة ابدع فيها والحق يقال، لأنه فهم اللعبة أي / اللعبة الفنية/ والهدف الأساسي من الفن الرابع، فكان يختار النصوص المسرحية التي فيها تشريك للمتفرج حتى تخال نفسك وأنت تشاهد عرضا مسرحيا شارك فيه نورالدين عزيزة، بطولة وإخراجا وأحيانا كتابة، أنك طرف في النص وكأنك ساهمت في كتابته.

وهذا الشكل الذي ارتآه المسرحي نورالدين عزيزة، يتفاعل مع النظريات السيميائية والنصانية الحديثة كما أرسى قواعدها ومفاهيمها خاصة رولان بارت والتي تشرك القارئ أو المشاهد في اللعبة الفنية الإبداعية تحقيقا للذة القراءة أو المشاهدة، ذلك أن أي عمل إبداعي وفني خاصة هو بمثابة لعبة الشطرنج، وكل طرف في هذه الرسالة الخطائية/ من باث وملتق وخطاب/ يجب أن يكون حضوره من زاوية معينة حتى يحصل التكامل الفني.

الشكل الثاني، الذي شد انتباهي الشخصي، هو الوان مان شو والذي يقوم على دور بانورامي لشخص واحد، يكون في الظاهر هو الباث والمتلقي وموضوع الرسالة الفنية ولكنه في الحقيقة يعكس موقف المتفرج من ذاته ومن الآخر ومما حوله، وقد برز في هذا الجانب كل من لمين النهدي بمسرحيتي (المكي وزكية) و (في السردوك نريشو) ورؤوف

بن يغلان بمسرحيته (مثلا) و (نعبر وإلا ما نعيرش) هذه الأخيرة قدمت في جزئين.

ففي مسرحيتي لمين النهدي، نلمس دقة في تنويع الخطاب، بشكل سريع توازيه دقة وسرعة في تغيير اللهجة مع الحفاظ على (تونسيها) وسرعة في تنويع النطق بدقة أشارت إليها الدراسات اللسانية والمعمجية الحديثة، فهل كان لمين واع بهذا أم أن كاتب النص كان واع بهذا ؟ كما نلاحظ سرعة مراوغة ومباغتة لمين للمتفرج والمتلقي خصوصا في تكرار مشاهدتنا لهذين العاملين أكثر من مرة نلاحظ تداخل نصين يختلف محتوى الأول عن الثاني وبالتالي يختلف تفاعل الباث مع هذين العاملين كلما تكررت الفرجة وهذه السرعة لا تلمس ساعة العرض المباشر للعاملين باعتبار أن الجانب الفكاهي يغلب عليهما وبالتالي يقل التركيز إنطلاقا من القالب الفكاهي والدرامي في نفس الوقت في النصين وإنما تدرك هذه المفاهيم والمعاني بعد القراءة المتأنية للنص والمتابعة الحصيفة للحضور الركحي للمين النهدي ومتابعة طبعا أدق تفاصيل الإنارة وديكور العرضين وبعد هذا تتساءل هل نجاح العاملين رهين فحوى النص أم هو رهين الجانب التقني والإخراج والتمثيل ؟ أعتقد ان الإجابة عن هذا السؤال رهينة قراءة كتاب (المكي وزكية) للمنصف ذويب وحينها يمكن لقارئ هذا المقال معرفة الإجابة.

وفي مسرحيتي (مثلا) و(نعبر وإلا ما نعيرش 1 و2) لرؤوف بن يغلان نلاحظ الوجه الآخر للإنسان التونسي أو ما يمكن أن نسميه بـ

(المسكوت عنه) في الثقافة التونسية وضمن العلاقات الإطارية داخل حيز المجتمع.

وبهذا نقر أن هذه الأعمال والإنتاجات المسرحية توفرت على /تميز نصي/ يؤكد إلى حد ما أن النص المسرحي التونسي بخير، كما أن هذا الكم الهائل من النصوص المسرحية التونسية، عبر سنوات من الجهد والبذل والعمل والإبداع والفن يؤكد أن النص حاضر، إلا أن الاستثناء يتمثل في وجود بعض الأعمال المسرحية/ النخبوية/ التي تجعل المتفرج يحكم على النص لا له، بإعتبار أن النص غير واضح وأن هذه الأعمال تقوم على شكل ركحي من خارج البيئة التونسية الصرفة ولا تمت للواقع التونسي بأي علاقة، فهل المشكلة في النص في حد ذاته أم في الإخراج التقني والحضور الركحي للممثل؟؟

أما النص التاريخي ذو الطابع التاريخي، فحضوره بين أحواء (الفن الرابع) إما ظري مرتبط بشهر رمضان، أو بشخصيات تاريخية معروفة، فعرض مسرحي حول المعري مثلا يجد صده لا لأنه يصور أحداثا تاريخية ما تكون منطلقا لبناء معالم مستقبل أفضل ولكن لأنه يندرج ضمن البرامج التربوية التعليمية.

والمشكلة، حسب رأيي، في الحقيقة ليست مشكلة نص بقدر ماهي مشكلة ذوق جماهيري، يتميز بالتنوع والتجدد، والمصالحة مع الذات والبحث عن الأفضل والجديد من أجل التنويع والعزف على إيقاع الحداثة وللوصول إلى هذا النوع من الذوق الجماهيري بات من الأكيد

ترسيخ الذائقة المسرحية لدى الناشئة من أجل خلق جيل جديد يربى على حب المسرح وتذوق الفن الرابع بمختلف ألوانه ومشاربه ومدارسه ولا يكفي للغرض بعث نواد مسرحية في المؤسسات التربوية أو تنظيم تظاهرات للمسرح المدرسي بل من الضروري التفكير والسعي لبعث ركح مسرحي بمختلف متطلباته في مختلف المؤسسات التربوية وخاصة الريفية منها على غرار الملاعب الرياضية التي يتم بعثها بالأحياء ذات الكثافة السكانية أو بنوادي التنشيط الريفي.

أعتقد في الختام، أنني إذ أبديت رأيي الشخصي حاولت طرح سؤال حول أزمة النص المسرحي من الضروري طرحه ضمن محاور اهتمام الإستشارة الوطنية حول مشاغل المسرح التونسي الحديث وقضاياها بتشريك أهل الاختصاص في تناول هذا الموضوع وإفادة الساحة الثقافية بتوصيات تكون مرجع عمل لأهل القطاع والمبدعين.

قد يتبادر إلى ذهن البعض أن اللغة هي وسيلة اتصال بالأساس. هذه النظرة سطحية لأنها لم تذهب إلى عمق الأشياء، إذ أن اللغة زبادة على أدايعها التواصلية وهو مهم فهي مكوّن أساسي من مكونات الهوية . وهي بذلك جزء لا يمكن الاستغناء عنه في تكوين الشخصية. وهي بصمة لها أثرها في تمييز مجموعة بشرية عن غيرها. لذلك تعددت الأمم بتعدّد لغاتها، وهذا ما يجعلها محط اعتزاز من المتكلمين بها.

العربية قد تندثر

بقلم : عبد الحميد المنتصر

حوار مع الأديب التونسي رشيد الذواودي

حاوره : فرج مجاهد عبد الوهاب

(مصر)

كاتب يهتم بالدراسات الأدبية والتاريخية وبأدب الأطفال، من مواليد مدينة بئررت في تونس سنة 1936، درس في المدرسة القرآنية، ثم في جامعة الزيتونة في كلية الحقوق، وانتهى به المطاف إلى التدريس والأستاذية في مدارس الجيش بمدينة بئررت، وتم تكليفه بمهام سياسية آخرها كان المستشار الثقافي بسفارة تونس بالقاهرة في الثمانينات، له العديد من المؤلفات، طبع بعضها أكثر من طبعة، من هذه المؤلفات نذكر : "يوغوسلافيا كما شاهدتها" وهو من أدب الرحلات و "رحلة الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي" و "أدباء تونسيون" وتم طبعه 4 مرات، طبعتين بتونس وأخرى بالعراق ورابعة بالقاهرة، وكتاب "جماعة تحت السور" صدرت منه طبعة في تونس 1985 وأخرى في القاهرة 2004، له كتاب "مقاهي الأدباء في الوطن العربي" الذي كتب مقدمته الأديب العالمي نجيب محفوظ ، و"الخفاجي أديبا وناقدا" و"إشارات أدبية" و"وجوه من بئررت" و"أعلام من بئررت" و"هذه بئررت" وقدم في ادب الأطفال سلسلة "عظماء بلاد" في عشرين كتابا تضم مجموعة من الشخصيات الفكرية والثقافية والأدبية، وآخر كتبه صدر منذ فترة وجيزة بعنوان "مقاهي نجيب محفوظ" وطبع في تونس. وكان

قد أصدر كتاب "الشابي ومدرسة أبوللو" عام 1986 في تونس بالاشتراك مع د : محمد عبد المنعم خفاجي، والدكتور عبد العزيز شرف، وفي عام 2003 أصدر كتاب "اتجاهات القصة القصيرة التونسية" مع الأديب المصري حسني سيد لبيب بمقدمة للأديب الروائي محمد جبريل.. التقيناه أثناء زيارته للقاهرة وكان في رفقة الأديب حسني سيد لبيب وكان هذا الحوار:

1- في سيرة حياة كل كاتب ومفكر نجد العديد من المؤثرات.. فماهي الأحداث أو الأشخاص أو الكتب التي تركت أثرها في حياتكم وشكلت محطات هامة يمكن التوقف عندها ؟

- بالطبع لكل كاتب مسيرته، ولكل كاتب مشواره الأدبي والنضالي في مجال الكلمة وفي مجال الفكر. ومسيرتي بدأت بالكتابة في صحيفة حائط في مطالع الخمسينات كانت تسمى "صدى شبيبة الزيتونية" وكانت تعلق على الحائط كل يوم اربعاء، في هذا الوقت كنت مغرما بالأدب العربي والأدب المصري على وجه الخصوص فكنت أتابع ما يكتبه محمد سعيد العريان وأطالع كل ما يصل إلينا في تونس من مجلات وصحف مصرية مثل مجلة وكتاب الهلال وسلسلة إقرأ، فتأثرت بالأدب المصري وكتاب مصر، جورجى زيدان، يوسف السباعي، إحسان عبد القدوس ، المنفلوطي في "النظرات" و"العبرات" و"ماجدولين" وغيرها، ثم توجهت بعد ذلك إلى طه حسين فتعلمت منه الكثير، وكان اول ما قرأت له كتاب "على هامش السيرة" ثم "الفتنة الكبرى" ثم "شجرة

البؤس".

بعد ذلك تلونت مطالعاتي فبدأت اقرأ لكتاب لبنانيين إلى جانب كتاب مصر مثل "رثيف خوري" و"سهيل إدريس" وبدأت مجلة "الرسالة الجديدة" تصل إلينا في تونس فتعرفت على نجيب محفوظ، واكثر، والسحر وغيرهم.

2- وكتاب تونس .. ؟

- بالطبع قرأت في هذا الوقت لمحمد العروسي المطوي، والبشير بن سلامة، ومحمد المرزوقي.

3- إذا بعد هذه الرحلة وبعد تعدد زياراتكم إلى مصر ومعاشة الواقع الأدبي والثقافي المصري، هل يمكن أن نسمع شهادتكم على الواقع الأدبي والثقافي في مصر الآن؟

- الحركة الفكرية والأدبية في مصر الآن مازالت بخير.. نعم رحل العديد من الشخصيات الأدبية والفكرية العملاقة مثل طه حسين والعقاد والسحر وعبد العزيز شرف، لكن هناك أجيال أخرى تبشر بكل خير، فهناك دراسات وكتب هامة للدكتور مدحت الجيار والدكتور مصطفى عبد الغني مثلاً والدور الكبير للناقد الدكتور جابر عصفور، ومجلة "فصول" وفي مجال القصة هناك أسماء مثل "حسني سيد لبيب" و"جمعة محمد جمعة"، "إعتدال عثمان"، "جمال الغيطاني"، "يوسف القعيد"، "فؤاد مرسى"، "محمد جبريل" هذا الصديق الذي قدم لي الكتاب الذي كتبه مع الصديقه حسني سيد لبيب عن القصة

القصة التونسية وهو كاتب جريّ يعتز بمواقفه، ومرح ويتطلع دائما إلى إثراء الثقافة العربية بالتقنيات الجديدة وقد قرأت له مؤخرا رواية "المينا الشرقية" واعتذر له لأنني لم أتناوله في كتابي عن مقاهي الأدباء في الوطن العربي ولكنني أقرأ الآن كتاب صديقي حسني سيد ليب عن هذا الأديب الكبير وهو "روائي من بحريط وسأكتب عنه قريبا في تونس.

4- إذا انتقلنا إلى تونس فماهي الشهادة التي يمكن أن نسمعها من الأديب رشيد الذوايدي عن الواقع الثقافي في تونس الآن ؟

- المشهد الأدبي التونسي يحكي عما يجري في تونس وفي الوطن العربي... هناك أدباء يدعون في القصة، في الرواية، في الشعر، في النقد وقد باهى بهم الأستاذ انيس منصور في المقدمة التي كتبها لي في كتاب أحاديث في الادب الذي نشر في الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1986 م ، هناك أيضا تجارب الجديدة وتقنيات جديدة، وأعتقد أن ما يشغل مصر أو ما يشغل لبنان، أو سوريا من قضايا في مجال التقنيات يشغل أيضا الأدب التونسي بشموليته العديدة.

هناك أيضا من النقاد الكبار أسماء مثل عثمان بن طالب، وتوفيق بكار، والبشير بن سلامة والمنجي الشملي ومن الروائيين نجد محمد رشاد الحمزاوي، وحسن نصر، ورضوان الكوي، وعزالدين المدني، ومصطفى الفارسي، وأحمد مهو، ونافلة ذهب، وصلاح الدين بوجاه، وفي الشعر تبرز أسماء الميداني بن صالح، والبشير المشرقي، وكان هناك من جيل الشابي الشاعر الشاذلي خازندار الذي قارنت بينه وبين أحمد

شوقي في إمارة الشعر في كتابي "أدباء تونسيون" ورجحت أحمد شوقي طبعاً لقوة شعره ولجمال الصورة التي يتقنها أكثر من خزنदार، هناك أيضاً صحفيون ونقاد في المجال الصحفي منهم محمد رجب وأحمد عامر وعبد السلام لصيلع وهو شاعر وناقد... الحياة التونسية في مجال الأدب هي حياة ثرية تبشر بكل خير...

5- في مجال الصحافة الأدبية وحركة النشر... ماذا هناك ؟

- هناك عدة مجلات في ذلك فنجد مثلاً وزارة الثقافة تصدر مجلة "الحياة الثقافية" التي أسسها الأديب الكبير محمود المسعدي ، ومجلة "الفكر" التي صدرت واحد وثلاثين عاماً وكنت أحد كتابها، ومجلة "الإتحاف" التي أسسها الأستاذ عبد القادر المهاني والتي نشرت للعديد من الكتاب العرب وهناك صحيفة الصباح التي نشر فيها كبار الكتاب مثل د. جابر عصفور، ود. مدحت الجيار، والراحل د. عبد العزيز شرف، ود. محمد المنعم خفاجي... وغيرهم...

أما الصحف التي تصدر ملاحق ثقافية فنجد منها جريدة "الصريح" التي تصدر ملحقا يوميا عن الفكر والثقافة وكذا "الصباح" وجريدة "الحرية" تصدر ملحقا اسبوعيا أديبا كلّ يوم خميس وكذلك جريدة "الشروق"، أستطيع أن أقول أن هناك طفرة ثقافية تتطور يومياً على يد الأدباء التونسيين.

6- هل هناك سمات مشتركة بين الثقافة والصحافة في مصر وتونس ؟

- بالطبع هناك سمات مشتركة عديدة وهي نابعة من تاريخنا المشترك مصر بما الجامع "الأزهر" وهناك "جامع الزيتونة" بما لهما من مكانة تاريخية ودينية، وأذكر انني كتبت بحثا بعنوان "تونسيون في ذاكرة مصر" تحدثت فيه عن مجموعة كبيرة من الشخصيات التي درست في الأزهر أو درست فيه، أو الأطباء التونسيين الذين عاشوا في مصر أو الذين تعلموا في مصر وعاشوا في تونس، لا ننسى أن "أبو القاسم الشابي" سبب شهرته هو ذبوع اسمه في مصر بعد أن نشرت له مجلة "أبوللو" أكثر من عشر قصائد وقد أدار الدكتور مختار الوكيل معركة كبيرة حول قصائد الشابي في "أبوللو" وكتب الدكتور عبد المنعم خفاجي العديد من الدراسات حول أدباء تونسيين. وبالطبع لا ننسى الشيخ محمد الخضر حسين الذي جاء من تونس ليدرس في الأزهر ثم تولى مشيخة الأزهر في بدايات الثورة المصرية وكان متفيا عن تونس وأمامك كتاب الأستاذ حسني سيد لبيب الذي اشتركنا في تأليفه عن القصة التونسية، والدكتور مدحت الجيار الذي ألف كتابا عن الشابي، وراح لطفي جمعة، ومحمد جبريل.. وغيرهم .

هناك دائما صلات مشتركة اتمنى الا تنقطع فلنا وطن واحد وأهداف واحدة مشتركة نسعى لتحقيقها وبالخصوص الأباء الذين يقع عليهم العبء الأكبر.

7- الشارع الثقافي في مصر الآن يفتقد إلى المطبوع التونسي، مجلة أو جريدة، لا تصل إلى مصر أو القاهرة بانتظام مجلة أو جريدة تونسية،

ربما بعكس مصر التي تصل مطبوعاتها إلى تونس لماذا في رأيك ؟ هل هي قطعة من طرف واحد ؟ هناك بالطبع محاولات فردية أو شخصية في النهاية ؟

- أعتقد أن أساس المشكلة أو القضية هي التوزيع، كنا في الخمسينات والستينات وحتى السبعينات تصلنا مجلة "الهلل" بانتظام انقطعت الآن منذ سنين عدة ! كتاب الهلل لا يصل إلى تونس، الصحافة اليومية تصل متأخرة يوما أو أكثر خاصة الأهرام والأخبار والجمهورية، جريدة "المساء" لا تصل إلى تونس. في الثمانينات كانت مجلة "الفكر" التونسية تصل إلى القاهرة، ومجلة "القصص" ومجلة "عرفان" وصحيفة "العمل" كانت تصل على القاهرة أيضا... القضية والمشكلة في التوزيع ونحتاج إلى من يحكمها، ولعل صوتي يصل إلى المسؤولين فيقومون بتدليل تلك العقبة.

8- إذا انتقلنا إلى جانب آخر من حياة الأديب رشيد الزواوي وهو جانب الكتابة للطفل، فهل يمكن أن تحدثنا عن تلك التجربة ؟

- نحن كبار في كل البلدان العربية نشكو من قلة القراءة، والكتابة للطفل أصعب من الكتابة للكبار كما تعلم، وفي كثير من بلدان العالم متخصصون يكتبون للطفل، لكن في العالم العربي هناك استثناءات مثل كامل كيلاني، وعبد التواب يوسف، وهناك من كتب للطفل بجانب كتاباته للكبار مثل محمد سعيد العريان في مصر، وزكريا تلمر في سوريا، وكذا الأمر بالنسبة لتونس نجد البعض كتب للطفل بجانب

كتاباته للكبار والبعض الآخر تخصص في كتابة الطفل فقط وهم قلة.
في عام 2005 تم تكريمي في إحدى المدن التونسية بمناسبة إصداري
لسلسلة "عظماء بلادي" التي كتبها في السبعينات والثمانينات في
عشرين كتابا وكل كتاب منها يتحدث عن شخصية تونسية لها موقف
ما، أو قضية ما، أو إشكالية ما وهي لمرحلة الطلائع، وصدر كتاب عن
أدباء الطفل كنت ضمن شخصياته وتحدثت هناك عن تجربتي.

في تونس تجد العديد من الأدباء الذين كتبوا للطفل مثل محمد
العروسي المطوي بجانب كتاباته في القصة والنقد والفنون الأخرى،
ومثله عبد الجبار شريف أيضا وهو من الكتاب الجيدين، ونجد كاتباً
مثل محمد دواس اختص بالكتابة للطفل فقط، ولم يكتب للكبار،
والأمثلة كثيرة...
ARCHIVE

9- عندما سئل الكاتب الكبير نجيب محفوظ عن الكتابة للأطفال قال
إن الكتابة للطفل من أصعب الكتابات وتحتاج إلى مهارات خاصة لا
توافر في الكثيرين، فإذا تحدثنا عن تجربتكم الشخصية فماذا يمكن أن
نقول عن الباعث وراء كتاباتكم للطفل؟

- في بدايات حياتي الأدبية في الخمسينات قبل أن أنتقل للتعليم
الثانوي كنت تعرفت على الطفل عن قرب... حياته... حركاته...
فكتب بعض النصوص القصيرة التي لا تتعدى بضعة أسطر حول
حيوانات أو أفكار أخلاقية ثم كتبت بعد ذلك بعض القصص القصيرة
ونشرتها في مجلتي "عرفان" و"أزهار" التونسييتين المتخصصةين بأدب الطفولة

في السبعينيات بعدها قدمت مجموعة من الشخصيات في إطار قصصي للطفل من أجل أن نغرس في الطفل حب الوطنية والأخلاق الحميدة كيف يدافع عن رأيه.

10- إذن أنتم مع الرأي القائل بتقديم المعلومة للطفل في ثوب قصصي في؟

نعم ... نعم، أنا في بداية حياتي قرأت عن مصطفى كامل وسعد زغلول في إطار قصصي... لا بد أن نقدم الزاد المعرفي بمعلومات مبسطة جدا بعيدة عن التلقين ليتفهم الحياة من حوله والشخصيات التي يقتدي بها.

11- حسب قائمة مؤلفاتكم نجد أن غالبية كتبكم تكاد تقتصر على أدب التراجم بجانب الطفل؟

لقد كتبت في التراجم وكتبت في الدراسات أيضا مثل كتاب "اتجاهات القصة التونسية" وكتاب "جماعة تحت السور" ودراسات عن أدباء وكتاب وصحفيين ودراسة عن "مقاهي الأدباء"... ولكن الترجمة - أو كتابة التراجم - هي فن أيضا، هي عمل كامل حتى لو صيغت في قالب مقال من ثلاث أو أربع صفحات... التراجم كتب فيها أدباء نابغون مثل العقاد في العبقريات وطه حسين ود: محمد خفاجي، الترجمة، فن رائق مثل فن الرواية، والنقد، وهو غبداء أيضا لقد كتبت عن "علي البلهوان" و"أدباء تونسيون" و"اعلام من بترت" و"أدباء من مصر" غننا نحتاج دائما على أدب التراجم هناك الآن

شعراء، هناك روائيون، من سيكتب عنهم فيما بعد، لابد من التراجع ولابد أن تعاد لهذا الفن المكانة اللائق به في الوطن العربي.

12- نستطيع القول إنكم جعلتم من أدب التراجم رسالتكم للتعريف بالأدباء والنقاد والأعلام في مصر وتونس سواء في كتب مطبوعة أو في دوريات منشورة هنا وهناك ؟

ليس هذا فحسب لقد كتبت عن أعلام في مختلف أنحاء الوطن العربي في لبنان والجزائر وسوريا، كتبت أكثر من خمس وأربعين دراسة عن قضية فلسطين وحدها وهي تصلح أن تكون كتابا مستقلا وبالنسبة للنقد فقد كتبت فصولا عديدة بجريدة "الصباح" في تونس عن الأدباء حسني سيد لبيب، ود. خفاجي ود. شرف وجمعة محمد جمعة.. وغيرهم.

13- إذا استطعنا أن نجعل رحلتكم عن دور الأدب والثقافة في الحياة فماذا يمكن أن نقول ؟

أنا دائما اهتم بالقضايا... أنا أحب نجيب محفوظ لأنه كاتب يهتم بالقضايا، مبدع يهتم بقضية العدالة الاجتماعية، بقضية إحياء الهوية... اهتم بكاتب مثل جمعة محمد جمعة لأنه يكتب عن الفقراء، حسني سيد لبيب هو كاتب جيد كتب عن الطبقات الشعبية، محمد جبريل اهتم بقضية الحرية والطبقات الشعبية.. أعتقد أن العديد من أدباء مصر وتونس لهم قضايا.. نجد في تونس كتابا مثل حسن نصر وعلي الدوعاجي كتبوا عن الأحياء الشعبية والطبقات الفقيرة في تونس

فتناولناهم أنا وحسني ليب في كتابنا "اتجاهات القصة التونسية القصيرة" ... لا بد ألا نعمل الأحياء الشعبية، أو المقاهي الشعبية.. لا بد أن نكتب عن آمالهم وآلامهم ونبرز مشاكلهم.

14- أقصد هل هناك هدف تطمح أن تقدمه للأجيال الجديدة مثلا ؟

الالتزام لا بد للكاتب من الالتزام بقضية معينة مثل قضية الحرية أو العدالة الاجتماعية... وهكذا ...

15- البعض يرى أن الأدب والثقافة يأتي بعد الاهتمام بالكرة أو بالفن وخاصة عند أجيال الشباب

لا بد للأدباء الشباب من الاهتمام بقضية الاطلاع على وجه الخصوص في وطنهم وفي سائر الوطن العربي.. هناك تجارب وهناك تقنيات جديدة وهناك قضايا مشتركة يجب الدخول فيها.. لا أن نحوم حولها لا بد أن نقول رأينا فيها ونغوص فيها بالقدر الكافي.. لا بد من الجدية ومن التواصل الفكري بين الأجيال، مثلما يتقدم السن بالأديب تتقدم تجربته أيضا، الأديب الشاب اليوم يصبح غدا أديبا شيخا يقرأ له الشباب... لا بد من تواصل الأجيال ..

16- البعض يرى أن الكتاب الورقي سينحصر دوره في ظل الفضائيات والوسائط المختلفة في ظل تنامي دور العولمة ؟

العولمة لم تبدأ من اليوم ولكن قبل سنوات وهناك أيضا مشاكل الكتاب مثل الورق والتوزيع وغيرها، ورغم ذلك سيظل الكتاب

الورقي هو المرجع الأول والباقي وهو الأخلد .. سوق الكتاب سيكون دائما هو السوق الفاعل في حياة الفكر والأدب، لأنه المرجع.

17- وفي الفترة الحالية ماهي أهم خططكم للمستقبل وآخر قراءاتكم؟

في الحقيقة هناك العديد من الموضوعات، منها فكرة كتاب عن موضوع يتعلق بعدة وجوه أخرى من مدينة بترت كنت قد نشرت منه عدة مقالات بجريدة "الصباح" التونسية في عام 2003، 2004م.. وهناك دراسات أخرى سيأتي موعدها. أما عن القراءات في الفترة الأخيرة فكانت حول قضايا العولمة والحداثة، وبمذه المناسبة أقترح أن نعود إلى قراءة نجيب محفوظ لأنه يحتاج إلى أكثر من قراءة.. هذا الرجل العبقري الذي نعتبه هرم الثقافة العربية، الذي حصل على نوبل بفضل إبداعه ونبله وتواضعه وهي جائزة لم يحصل عليها طه حسين ولا غيره، لقد فتح باب الأدب العربي على مصراعيه لكي يترجم إلى مختلف اللغات.

لا بد أن نهتم أيضا بقضية الأدباء الشباب فهناك أدباء على درجة كبيرة من الوعي بقضايا وطننا مثل الحرية، العدالة الاجتماعية كذلك قضية أدب الأطفال، هناك تجارب عديدة في العديد من بلدان الوطن العربي.. لا بد أن نعرف إلى أي حد وصلت هذه التجارب.. هناك أحد الناشرين كان قد طلب مني كتابا عن أدب الأطفال في المغرب العربي ولكني فوجئت بقلة المعلومات التي تصل إلى حد الندرة في بلد مثل

الجزائر، وقليلة جدا في ليبيا والمغرب، بينما في فرنسا مثلا يعرفون كل شيء عن أدب الأطفال في بلجيكا.. المعلومات تنتقل بسهولة من بلد إلى بلد خاصة بعد الوحدة الأوروبية.. وأصبح الكتاب سهلا وميسورا وينتقل من بلد إلى بلد بكل يسر.. هناك أعمالا كثيرة تتطلب بذل جهد كبير من الأدباء لتحقيق مطامح مثلما حقق الجيل الماضي بعض المطامح... وهكذا ..

18- ولكن هل ترى أن العبء يقع على الأدباء أكثر في عملية الوحدة الثقافية أم على الحكومات ؟

أقول إن مشاكلنا هي مشاكل واحدة مشتركة.. ولاشك أن دور الأدباء دور هام ومؤثر ومن واجبهم أن يمدوا صلاتهم على الوحدة الثقافية الشاملة من المحيط على الخليج.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

... وكم من أمم اندثرت عبر التاريخ باندثار لغاتها. يمكن ذكر على سبيل المثال : الأكاديميين - الآشوريين - البابليين والفراعنة .

أغلب المجتمعات تحتفل دائما بلغتها وتعطيها الأهمية القصوى باعتبارها أحد مقومات الوطن وهي مدعاة للوحدة الوطنية ورابطا قويا بين الأفراد المكونين لهذا النسيج المجتمعي.

واللغة تساهم بقسط مهم في تقريب اللون السيكولوجي بين المتكلمين بها وعمدهم بدافع روحي يكون مساهما في التقريب لا في الانفصال والتشرد.

العربية قد تندثر : عبد الحميد المنتصر

خواطر حول رواية "أسميران"

للأديبة فاطمة الزياتي

بقلم : سالم دمدوم

من بعيد :

(... اضربوا في كل مكان، وانشروا ملحك فوق القارة، فتموت كل خضرة وكل حياة، وتمتلئ الصحراء الواسعة بمجماهير من البكم الموثوقي الأرجل...)

ألير كامبي (1)

حين نأخذ رواية بين أيدينا لقراءتها فإننا نبدأ في وداع ما حولنا نشرع في الرّحيل. رّحيل غير عادي، لا نعرف لنا وجهة في الغالب لا هدف لنا نقصده، ولا نعرف أيّ الدّروب نسلّك في ترحالنا!. ربّما يوحي لنا عنوان الرّواية ببعض الإثّجاهات، ولكنّه قد يضلّلنا أيضا. وفي بعض الحالات يكون محايدا او ملتبسا لا يوحي بشيء ولا يرشد لطريق كعنوان هذه الرواية. "أسميران" الذي لا يعفيه تعريف الكاتبة له بأنّه بئر حفره جدّها من أجل امرأة أحبّها حتّى الجنون، لا يعفيه ذلك من كونه يلامس أحيانا تخوم المتاهة ويستحيل رمزا لكثير من الدلالات، منه تنطلق الخرافات والعجائب، الثعابين والذهب والفضة، يستقطب الخبراء وتجري عليه الدراسات والتحليل ! ...

هكذا نبدأ الترحال ولولوج فضاءات غير معروفة في الغالب لا ندرى بالضبط ماذا سيصادفنا، أو من هم الذين سنترل ضيوفا عليهم ؟

وبقدر ما تترع الرواية عنا وحشة المغادرة، وتترعنا من رتابة المألوف والعادي فننغمس في حياة جديدة هي الحياة المتخيلة في الحكاية، تكون الرواية اقرب على تأدية دور هام فإذا اجتازت بنا جبالا وأدغالا ومدنا هزت نفوسنا دهشة، ورمتنا على تخوم الحيرة والروعة والتساؤل مندبحين في متاهاتها مشتبكين مع قضاياها وأبطالها فأفقدتنا شكننا وارتيابنا وأصبحت لنا واقعا نغمس فيه بكل اهتمامنا، تكون الرواية قد نجحت وصارت فعلا عملا إبداعيا. فالإبداع، أي إبداع، هو أولا وأخيرا خلق عوالم وتأثيرها تأثيثا جيدا، يقنعنا بأفكاره وأساليبه وواقعه حتى لو غايرت واقعنا ولم تستجب لمواصفات حياتنا العادية، فننسبها على الغريب والعجائبي واللامعقول، ولكنها مع ذلك تجعلنا مبهورين بكثير من الأشياء والمواقف والمشاهد تعترينا جملة من الدهشات الصغيرة المحبة فننسى واقعنا تماما، ونرحل عبر فلولات الحلم. فكما " أن التحول في الغابة له طعم اللذة المبهمة والمغامرة والخروج عن المألوف والعادي فإن التحول في فضاءات الرواية له نكهته الخاصة أيضا. " وهذا ما توفره لنا هذه الرواية بكل تأكيد . إن المنظورات والتخيلات الغزيرة التي تتقدم بما فاطمة الزباني في روايتها على المتلقي بما فيها من شك وحيرة وسخرية وألم ورؤى بالرغم من غدرها ومراوغتها أحيانا جوافز مغرية لولوج عالمها والتسكع فيه مندهشا مبهورا. وما نراه لأول مرة من

منغلقات هو أبواب لا أسوار، والدعوة للدخول قائمة في كل مرة...
 قد تنلق أمامنا بعض الرموز أو التصرفات، فلا نعي جيدا دلالاتها
 ومراميها، ولكننا نواصل السير شغوفين بما في هذه الفضاءات المتخيلة
 من صراعات ومواقف وقضايا، تقنعنا وتحزننا وتحرك البرك الساكنة في
 أعماق نفوسنا !

تلك كانت حالي مع هذه الرواية، كلما توغلت في القراءة ازددت
 متعة وحيرة، ووجدتني كلما حاولت بناء موقف من دلالات رموزها
 يعترضني ما يهدم ما بنيت، فلا يستقيم لي طريق ولا يتوضح لي موقف.
 وأجدني من جديد عالقا في أدغال الأسئلة والإشكالات، تزرعني
 رموزها في غابات الحيرة والسؤال ! ..

" كالظافر التقطني الزنجي الشديد، وأمسكني من ذراعي حديثة العهد
 بدماء الرجولة، ودفعني بعنف غير معلن إلى المركب الراسي على ضفة
 النهر"

هكذا تبدأ الرواية، وهكذا فجأة يجد مقطوع الهارب من قيود القبيلة
 نفسه واقعا في قبضة زنجي شديد يحتويه كاهول. وتتوتر العلاقة بينهما
 سريعا وتبدأ احتفالية الشتائم ! ..

" جدف يا أحقر طين رأيت.. جدف أو لعله "ألقي" بك وسط هذا
 العمق الأعمى .

هكذا وعلى غير انتظار يجد نفسه كالمستجير من الرمضاء بالنار، وإذا
 هو في نير عبودية أشد، ويصبح مجرد رقم في سلسلة طويلة صفد فيها

مع عبيد آخرين وعرضوا في سوق النخاسة.

نتجاوز هذه العتبة المثيرة للحيرة ونحاول أن نلج أعماق هذا العمل، فإذا نحن أمام رواية صغيرة في عدد صفحاتها ولكنها شديدة العمق والانتساع من حيث مراميها وأبعادها، إذا حاولت الغول غير شعابها وتسلق عقباتها وكتباها فعليك بالثريث، ومحاولة التثبت في معالم الطريق، فأنت بمرتاد المتاهة أشبه، إذ تجد نفسك أمام عالم يكاد يكون مختلفا أسماء وأماكن وتقاليده وعادات وطقوسا. يذهب بك بعيدا في الماضي ويقف بك طويلا أمام الحاضر، يحاول مساعلته ورسم ملامح سريرية له وقراءة متغيراته قراءة واعية تمسح فضاءات شاسعة، تظل هموم الكاتبة غيرها متداخلة مع أوجاع العالم العربي ومحاولاته الدفاع عن هويته وحرية ومقدراته ضد قوى غاتية متحكمة سحرت العلم والسياسة والأساطير للسيطرة عليه وسلب حيراته.

تتداخل الأحداث مثيرة أجواء من الحيرة والتخبط تشي بها تصرفات أمينة زعيمة المقاطيع المتأرجحة بين الحقيقة والوهم، بين الرحيل والاستقرار، بين الرغبة في تكسير قيد المكان والعجز عن إدراك السبيل إلى ذلك، بين التسليم بما يريده الآخر والثبات على المبادئ والحفاظ على المصالح والمقدسات..

حالة التخبط هذه من السهل أن نلمح لها معادلا موضوعيا في أوضاعنا العربية الراهنة بما فيها من عجز وحيرة ونفاق توحى بها الرواية في صدق عن طريق ومضات رامية وإيجاز مدروس...

وإذا كان "امبرتو ايكو" (2) يرى ان قارئ الرواية عليه أن يحاول الكشف عن استراتيجيات الذات التي تقف وراء هذا العمل التخيلي الذي يعج بالحقائق والأوهام وتحقيق موقعه داخلها.. فإن مهمة قارئ هذه الرواية تظل من الصعوبة بمكان، إذ يجد نفسه أمام عمل تتخفى مرامييه تحت رموز حاملة لشتى الدلالات. وإذا كانت هذه الرواية مسكونة بالوجع القومي العام في مجملها فلما اعتمدت طريقة موهلة في الرمز لا تعدم أحيانا مشاهد كافكاوية تند عن المألوف وتلامس العجائبي واللامعقول. غير أن هذه الرموز مع ذلك تظل وفيه لمهمة الرمز الأصلية : إذكاء الحيرة وتوليد السؤال وإثارة الرغبة في إجلاء المفاهيم وفتح المتاهات..

يقول الناقد الفرنسي "غوستاف لانسون": "إن الأدب يأتي النفوس التي أمكتها ضرورات الحياة، وغمرتها شواغل المادة فيبعث فيها الوعي الحائر بالقضايا الكبرى التي تحكم الحياة..."

هكذا هذه الرواية، تنتشلك من ركود الواقع اليومي لترمي بك في عالم صاحب يجري فيه الصراع وتحدث المعارك على مستويات كثيرة. وإذا أنت بين هؤلاء الرجال تخوض معهم صراعا ضد الغزاة وضد العقم وضد الملح وضد العبودية وضد أهواء النفس أيضا، وتصير قضية الخصب والإخصاب هما دائما بين الجميع، الكل يعمل جاهدا لتخليص الأرض من الملح الذي زرعه الآخر فيها فعطب المكان وأجده وأحاله إلى صحراء عقيم.

على امتداد الفصول الثلاثة تظل معارك الحرية قائمة والغزاة يتقاطرون بالقوة مرة، وبالمكر والخديعة مرات. حتى يتسنى لهم دسّ أعوانهم في القبيلة فيسهل الاختراق...

"ليديا القادمة من الغرب تسلم مفتاح قلعة اسميران لهزيل، فيتجه به إلى الغرب".

تقع هذه الصفقة اثر قول الكاتبة :

" يكتم الليل الأسرار، ويمتلك الخدر نواصي الرجال، وتعود النجوم على عراجينها الأزلية لتغمض عيونها نهائيا في لحظة الخيانة العظمى ..."

هكذا تعي الكاتبة أشد الوسائل غيبا :

"يكتم الليل الأسرار، ويمتلك الخدر نواصي الرجال، وتعود النجوم إلى عراجينها الأزلية لتغمض عيونها نهائيا في لحظة الخيانة العظمى..."

هكذا تعي الكاتبة أشد الوسائل غيبا: اختراق الشعوب من الداخل وشراء ذمم بعض المهزوزين فيجندون للأجنبي الأنصار والعملاء فتعقد صفقات الخيانة وتضيع مصالح الشعوب ويصبح الدفاع عن الحرية والذات والهوية خروجاً عن الشرعية وعملاً إرهابياً ينبغي مقاومته وتأليب العالم كله ضده. وبالعودة على مقولة "اميرتو ايكو" التي اشرنا إليها آنفا في محاولة لاكتشاف استراتيجيات الذات وهومها التي تولد عنها هذا العمل نجد إن المبدعة وعت زمنها جيدا بما فيه من انكسارات وعطوب على مستوى الوطن الكبير وعلى مستوى الذات أيضا.

يقول مقطوع : " ... خربوا ذاكرتي وازرعوها ملحا أخذونا من

أسميران غدرا واحصوا ذاكرتنا ثم رمونا بهائم لا تفقه شيئا لنقرأ تاريخنا كما كتبه أجهزهم، وننسى أننا جزء من ذلك التاريخ المزور، زوروا ذاكرتنا على قياس صلفهم الكريه..." ذكرني هذا المستوى من الفهم بقولة للزعيم الإفريقي أحمد سيكوتوري نصها ما يلي : لقد استطاع الاستعمار تشويه حتى مواقفنا العفوية نحو أنفسنا فاهترت ثقتنا بقدراتنا!...

هكذا فهمت الكاتبة أهداف الآخر على حقيقتها ولم تنطل عليها أكاذيبه الخادعة فراحت - بإصرار النمل وصبره، وبرشاقة دودة الحرير وشاعريتها،- تنشئ أسطورة خاصة بها وظفتها لخدمة قضيتها، مبدعة نصا يمثل هذه الرهافة والصلابة يجسد مناخات أسطورية وينشئ قبائل وأحداثا تتداخل فيها تجارها الخاصة وميولاتها وإحساسها بموم وطنها الكبير. فإذا الشخصوس تسعني بين ضفتي الرواية امتدثرة بالرمز متعطرة بعطور عجيبة من روح "العلندي" و"التقوفت" و"الرمم" وغيرها من نباتات ،اديبها مهد طفولتها ومنتهى حبها.. وهكذا استطاعت أن تدرج تجارها الشخصية وقراءتها لواقع زمنها ضمن عمل رامز يفتح على كل الاتجاهات ويستوعب كثيرا من القضايا ليلامس ذاكرة أوسع هي ذاكرة الإنسانية جمعاء حين يتمظهر في الصراع الأبدي بين الخير والشر والحرية والعبودية، والإخصاب والعقم، بين عجرفة الغازي وصلابة المدافع عن هويته وأرضه ووجوده...

لئن بدا الانجذاب الأبدي نحو الأثنى هوسا بارزا في الرواية فلكي

يوالزن (ربما) طقوس الإخصاء المتعمد الذي تمارسه "أمانة" مع كل وافد جديد على القبيلة حيث تنقلب "شهريارا" أنثى تمتص فحولة الرجال ثم تعمد إلى إخصائهم مما يعمق مأساتهم ويؤسس لثقافة العقم، التي يريد "الأخر" أن تنفشي وتشيع حتى تكون الأوطان فضاء مباحا تسهل السيطرة عليه واستغلاله.

يقول مقطوع :

"مخنوق زمننا يا "أموالي" يخنقه الوهم ويشد حباله الغزاة يزرعون رجائهم حولنا ويطاردون أرواحنا الطامحة إلى الصعود حكموا علينا بالعقم المؤبد حتى لا نترك بعد موتنا جيلا جديدا يحيي أسمران بعد موتها ويسد طريق الأعداء !"

كما يتوهج الحب بين بعض أبطالها ويستمر متأجج العنفوان حتى يكاد يصير هوسا، إذ تكون الحبيبة مستحضرة باستمرار حتى في لحظات التعذيب المتواجدة بسخاء والتي تشي ولو من بعيد بأهم سمات الزمن الرديء..

يقول أموالي محرضا مقطوعا :

"هل جربت الأنثى ؟ .. جرب .. لا تفوت الفرصة"

ويقول مقطوع : " .. بل إنني أحمل رائحة الأنثى في دمي، هي الخيط الوحيد الذي يربطني بزمان كأنه لم يكن " .. "وحدها رائحة الأنثى ظلت تربطني بأصل الحياة وأساس الكون..". " .. الأنثى كائن يحب الحياة ويصنع الفرح.

وإذ نتأمل جيدا هذا الاحتفاء بالأنثى والذي يبدو للوهلة الأولى مبالغا فيه نجد إن لها في الرواية دورا آخر كان للمرأة عبر العصور، فلطالما كانت هي المحرصة وباعثة النخوة والحاضنة لمعاني البطولة وحب الوطن. يقول مقطوع : "أمشي أحدثت ثقباً هائلا في برقع الوهم الذي يلفني." "تأتي أمشي ترضعني أول قطرات الوعي بالمخاطر التي يواجهها أسمىان."

".. أمشي زمن حديد وألوان جديدة في روحي."

مما يحيلنا على قول الشاعر القديم:

يقدن جيانا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم نمتنعونا

او قول شاعرة بدوية أخرى :

"لواش نكسب البل والحيل وأهلها يياتوا كبايا

ويرتعوا عشبة الذل وهم خابرين الشايا"

هكذا كان دور الأنثى عندما كان ثمة رجال يعرفون النخوة والانتحاء . تذكرنا به هذه الرواية عن طريق هذا الاحتفاء الكبير بالأنثى والذي يبدو للوهلة الأولى وكأنه هوس جنسي لا غير...

يروى إن قارئاً ذكياً كان يقول : "لا أريد كتاباً يجلب لي النوم، ولكنني أريد كتاباً يطرد عني النوم." وهذه الرواية تكاد تكون هذا الكتاب. فهي تسحرك وتستفزك دون أن تعي تماماً مصدر ذلك. لا تدري هل هو كامن في روعة السرد بإمكاناتها التخيلية المتعددة ؟ أم المتاهات التي يفتحها المعنى ؟ أم روعة الأسلوب وسلاسته، أم تلك المقاطع من الشعر

إلى مثل المبتوتة بسجاء غير المتين.

"ظرف عنها ساقني على مدارات الألق الروحي الذي يبعثه الوصل
ص 25.

"انسحبت آخر نجمة من سمائنا ولم أظفر منها بأكثر من النظر . ص 25
ثمدي ألقها الفجري لغري ص 26

رأيتها تضحك فبدت كفجر يطلع لي وحدي . ص 24

"وسط هذا الخصب الأثوي الذي ينتشر حولي ولا ينالني ربه ص 27
... إلخ ...

إلى جانب مقاطع من الشعر الشعبي آسفة ونادية ومحزنة حزينة !

"هاتي التقوف واظفري شفشفوك أسمران يا قلة عليه وقوفك

أم تراه في تصرفات هؤلاء الأبطال التي تنتسب في كثير من الأحيان إلى
العجائبي والغريب بداية من اسمائهم : أمشي . بنت ادجاو بحدر الطابق
قورا إلخ ... أم فضاءها الصحراوية بما فيها من صلوات وأغان وطقوس
وتقاليد ضاربة عميقا في أنفاق الموروث الحضاري للبادية، أم في تلك
الحكايات الصغيرة التي توهمك أحيانا بأنها ستعري بطلا أو توضح
غموضا أو تقدم معلومة ولكنها تنتهي قبل أن تفصح عن أي شيء
فتكتشف في النهاية أنها زادتك حيرة ولم تشف غليلك بل عمقت
الغموض وشطبت مسارات كنت تعتزم سلوكها، أم لملاستها الموروث
الأسطوري بما له من قدرة على استنهاض خيال القارئ وتنشيط
ذاكرته حيث تحيله الناقة "صعداء" مثلا على ناقة النبي صالح وما استبغ

عقرها من ويلات على قوم ثمود ؟ (3) مثيلة عجائية لها في بعض الوجوه، هذه التي ينبت من يولها (قورا) قاتا جديدا يعضغه الرجال فيستطيون الوهم والضياح...

تدور أغلب إحدات الرواية في الصّحراء حيث كتيان الرّمال الزّاحفة والريّاح الجنوبية اللّافحة. يتسع المدى من (تنبكو) المدينة الإفريقية ذات المجد التّالد والحاضر المنسيّ المقطوع عن منابعه وجذوره، إلى "أسميران" الرمز لكل موطن تعرض للاستباحة والعطب والاعتصاب حيث مضارب قبيلة المقاطيع بين سماء حاقدة وأرض أجدها الملح، وفي زمن يخنقه الوهم ويشد حباله الغزاة. هناك حيث تمارس طقوسا غريبة وتصارع أقدارا عاتية تحلم **يوم تصفو فيه** مياه البئر ويتراح الملح عن صدر الأرض وتنفّث طريق السماء فينهزم المطر، مطر ييشر بالحب والخصب والأمان! ... تنصّدى بين الحين والحين لهجمات المغيرين مسلمة قيادتها ومصيرها لاماينة هذه المرأة الغامضة صاحبة التصرفات المشبوهة على كل صعيد، يحوم شك كبير حول انتمائها وأصلها وأهدافها واتصالاتها بالآخرين، حتى كادت ترشح لدى القارئ بطلّة ثانية لهذا العمل بخصيها وأنانيتها وغرابة طقوسها وتحكمها في المقاطيع وقهرها لهم نساء ورجالا وقابليتها العجيبة لأن تكون رمزا يحتمل الشيء ونقيضه في نفس الوقت..

لا ندعي في هذه المصافحة الأولى غننا تناولنا كل جوانب هذا العمل القابل لكثير من القراءات، إنما توقفنا فقط عند محطات راق لنا التوقف

عندها، حيث نظرنا للرواية إجمالاً، فبدت لنا عملاً جديراً بالقراءة
والاحترام، متأصلاً في بيئته منفتحاً على هموم وطنه الكبير، يقتعد مكاناً
محترماً في مدونة السرد العربي..

لأنه جاء، كغيره في عصر هذه الرواية! بل جاء بها، بل جاء بها، بتوالي فيها
الحبيات، والآنكسارات، من يج من الرقيق والعتمة، الرسومات، بحرية
على جسم الأمة العربية، مرسومة بالدم، والخيانات! ذكيرة للملح والدم
كما تقول الكاتبة. تنفتح على مشاهد الرق والعبودية والشتائم، وتنطلق
على أكثر الأفعال دموية وعنفاً، حين ينبعث الوحش الجمالي الكامل في
نهاية الرواية مخرجاً بالدم، والفا في الأغراض، عابثاً بالأجساد، مصيفاً
للأحرار متحكما في رقابهم بحجرات الجلادين، وبين افتتاحها وانغلاقها
أحداث وأحداث فيها للقارئ الفطن "نظر وتحقق".

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الهوامش :

- 2- النفي والملوكوت من 39 أنصومة المارق
- 2- عنة نزهات في عالم السرد
- 3- العرب والغصن الذهبي : بارو سلاف بيت كيفش ت : سعيد الغاني من 137



تاريخ علم الوراثة في أجزاء

الجزء الثالث : هرمان مولر

مكتشف الإحداث الاصطناعي للطفرة الجينية

بقلم الدكتور : ضياء بوكيلة

باحث ومدرس علم الوراثة بالمعهد العالي للبيوتكنولوجيا بباجة

1) مقدمة :

لقد أدت أعمال توماس مورغان الشهيرة (التي كنا تعرضنا إليها في الجزء الماضي) إلى إنشاء أول خريطة جينية لدى أحد الكائنات الحية. تم نشر هذه الخريطة المرجعية في سنة 1913، واحتوت على ثلاثة جينيات لذبابة الخلل (*Drosophila melanogaster*) تقع فوق الصبغي الجنسي X (X Chromosome Sexual). هذه الجينات الثلاثة هي التالية :

- * جين "y" الذي يؤدي عند الطفرة إلى لون اصفر للجسم.
- * جين "w" الذي يؤدي عند الطفرة، إلى لون ابيض للعينين.
- * جين "m" الذي يؤدي عند الطفرة إلى أجنحة قصيرة.

تبرز الخريطة الجينية التي توصل إليها توماس مورغان (Thomas Morgan) ومعاونوه، مواقع هذه الجينات الثلاثة فوق الصبغي X وترتيبها والمسافات الفاصلة بينها.

ورغم بدائية هذه الخريطة، فإن فضلها يتمثل في كونها فتحت الباب على مصراعيه أمام إنجاز خرائط مماثلة لدى العديد من الكائنات الحية، مما من شأنه أن يؤدي إلى معرفة أشمل باليات الوراثة، بالرجوع إلى عواملها الأولية أي الجينات.

2/ مبدأ إنجاز الخرائط الجينية (Principe de réalisation des cartes (génétiques :

يعود الفضل إلى توماس مورغان (صاحب النظرية الصبغية للوراثة : La théorie chromosomique de l'hérédité) في تعريف الجين بصفته "عنصرا ماديا محمولا فوق الصبغي". واعتمادا على هذا التعريف، ندعو :

* موقعا جينيا (Locus génique) : المكان الذي يحتله جين معين فوق صبغي معين. <http://Archivebeta.Sakhril.com>

* مسافة وراثية (Distance génétique) : المسافة الفاصلة بين جينين اثنين فوق صبغي معين.

انطلاقا من هذه المفاهيم، يعتمد إنجاز الخرائط الجينية على المبدأ البسيط الذي نلخصه بالشكل التالي :

"كلما كانت المسافة الوراثية الفاصلة بين جينين اثنين مرتفعة، زاد احتمال إعادة تركيبهما (Recombinaison) عند الإنقسام الاختزالي للخلية (Méiose)، مما يؤدي إلى الحصول على صفات ظاهرة معادة التركيب (phénotypes)".

لقد سُمّي مورغان ومعاونوه، وحدة المسافة الوراثية : السنتيمورغان (CentiMorgan).

(3) من خريطة مورغان الأولى ... إلى الرهان الموالي.

بعد توصل مورغان ومعاونيه إلى انجاز أول خريطة جينية، وما تميزت به هذه الأخيرة من بساطة وبدائية (كما أسلفنا)، صار رهان العلماء هو كيفية تحسين الخرائط الجينية وتدقيقها وإثرائها.

ويعتمد ذلك بشكل مباشر على محاولة اكتشاف أكبر عدد ممكن من الطفرات (Mutations) الطبيعية، غير أن المشكل الأساسي الذي يعترض هذه المحاولات، هو ندرة (Rareté) الطفرات الطبيعية، حيث أن احتمالية (Probabilité) نشأة طفرة طبيعية في جين معين تعدّ في حدود 1 إلى عشرة ملايين ($\frac{1}{10^7}$).

لقد انتظرت الإنسانية أعمال العالم الأمريكي هرمان مولر (Hermann Muller)، حتى تجد إجابة عملية كفيلة بحل هذا الإشكال الذي بدا لسنوات عديدة حائلا دون تحسين الخرائط الجينية الموضوعية.

(4) هرمان مولر : سيرته وتكوينه الأكاديمي :

ولد هرمان مولر في مدينة نيويورك (New York City) سنة 1890، وتلقى تعليمه العالي بجامعة كولومبيا (Columbia) الأمريكية. وفي تلك الجامعة اجتذبت أبحاث توماس مورغان حول ذبابة الخل دروسوفيلاميلانوغستر، فأبدى بها اهتماما فائقا وانظم إلى فريق مورغان للأبحاث.

وفي سنة 1925، تحصل مولر على رتبة "أستاذ جامعي" بجامعة أوستين (

(Austin) وبدأ رحلة من التدريس والأبحاث قاداته في محطة أولى إلى برلين (ألمانيا) في سنة 1932، ثم إلى لينينغراد (الاتحاد السوفياتي) في سنة 1934. وفي سنة 1937 تحول إلى أدنبرة (سكوتلندا) ليعود أثر ذلك مجددا إلى وطنه الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1945، حيث اشتغل بجامعة أنديانا (Indiana) إلى حدود سنة 1964، قبل وفاته بثلاث سنوات.

وشكلت مختلف هذه المحطات علامات هامة، تابع من خلالها هرمان موكر اهتماماته بوراثنة الخصال لدى ذبابة الخل دروسوفيل ميلانوغستر، كامتداد لما كان قد بدأه مورغان في السابق.

5) اكتشاف هرمان موكر المثير يأتى بطريق الصدفة :

أثناء انشغاله بكيفية اكتشاف أكبر عدد ممكن من الطفرات لدى ذبابة الخل (بما من شأنه أن يؤدي إلى تحسين جودة الخرائط الجينية) توصل هرمان موكر إلى حقيقة تجريبية مفادها أن نسبة حدوث الطفرات (Taux de mutation) تزيد بضارب يساوي مائة مرة ($\times 100$) وذلك عندما يتم تعريض الصبغيات إلى الإشعاع بواسطة الأشعة السينية (Irradiation par les rayons X). وتجدر الملاحظة في هذا السياق أن ظهور مثل هذه الطفرات المحدثة اصطناعيا، يتم بصفة عشوائية (arbitraire) أي غير موجهة (Non dirigée) نحو جين أو جينات معينة.

6) أهمية اكتشاف الإحداث الاصطناعي للطفرات والأفاق المنبثقة

عنه :

بعد اكتشاف هرمان مولر، الإحداث الاصطناعي للطفرات بواسطة الأشعة السينية، ذا أهمية بالغة، ذلك انه يمكن تعميم مبدأ هذا الاكتشاف ليشمل مختلف الأجناس الحية سواء انتمت إلى الحشرات (كما هو شأن دروسوفيل ميلانوغستر) أو إلى غيرها من الفصائل. ومن ابرز تطبيقات هذا الاكتشاف إمكانية رسم خرائط جينية عالية الدقة، غير احتوائها على عدد مرتفع من الجينات، وصولاً في المستقبل إلى الخرائط النهائية المحتوية على العدد الكامل من الجينات لدى جنس معين.

وفي هذا الإطار توفي هرمان مولر في سنة 1929 إلى حصر تقريبي لعدد الجينات عند دروسوفيل ميلانوغستر مقترحا عددا يتراوح بين 1400 و 1800 جين. ومن الطريف، أننا نعلم اليوم أن عدد جينات ذبابة الخل هو في حدود 13.400 جين مما يعني أن اقتراح هرمان مولر في سنة 1929 كان اقل بعشر مرات من الواقع، ولكنه يبقى مع ذلك خطوة علمية رائعة.

7) هرمان مولر يدخل تاريخ العلم من بوابته الكبرى :

تميزت مسيرة هرمان مولر العلمية براثها الشديد إضافة إلى تقلبها بين جامعات وأقطار وأمصار عديدة. ولم ينس مولر في غضون رحلاته المتنوعة، إثراء خزينته علم الوراثة بمؤلفات هامة نخص بالذكر منها :

أ) آلية الوراثة المندلية (Mechanism of Mendelian Heredity) : كتاب صادر سنة 1915 من تأليف هرمان مولر بالاشتراك مع مورغان

(Morgan)، ستورتفانت (Sturtevant) وبريدجز (Bridges).

(ب) نظرة بيولوجي إلى المستقبل (A biologist's view of the future): كتاب صادر سنة 1935 من تأليف هرمان موكر.

(ج) ببليوغرافيا حول وراثة دروسوفيل (Bibliography on the Genetics of Drosophila): كتاب صادر سنة 1939 من تأليف هرمان موكر.

(د) علم الوراثة، الطب والانسان (Genetics, Medicine and Man): كتاب صادر سنة 1947 من تأليف هرمان موكر، بالاشتراك مع ليتل (Little) وسيندر (Synder).

(هـ) الإحداث الاصطناعي للطفرة الجينية (Artificial transmutation of the gene): مقال صادر بمجلة Science سنة 1927 تأليف هرمان موكر. <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

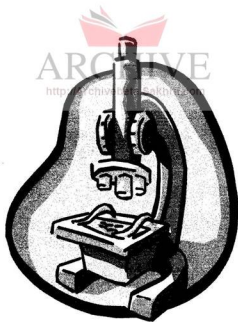
وتبقى اكبر انجازات موكر اكتشافه الإحداث الاصطناعي للطفرة الجينية، مما وسع أحلام العلماء نحو الكشف الكامل عن مختلف الجينات الحيوانية والنباتية.

لقد أهلت بمجمل أعمال العالم موكر، صاحبها للحصول على جائزة نوبل للفيزيولوجيا والطب وكان ذلك في سنة 1946. وبهذا، يكون التلميذ موكر قد نسج على منوال أستاذه، العالم الكبير مورغان.

(8) خاتمة :

مثل هرمان موكر حلقة وصل تاريخية بين الوراثة المندلية والمورغانية)

جديد يدعى الوراثة الجزيئية (Génétique Moléculaire) ركّز من خلاله العلماء اهتمامهم على الطبيعة الكيميائية (Nature chimique) للجينات. وفي مقالنا القادم، نسلط الضوء على عالين مهمين، تعاونوا (بشكل منفصل) على تدشين حقبة الوراثة الجزيئية ؛ يدعى الأول فريد غريفيث (Fred Griffith) والثاني أوسفالد أفيري (Oswald Avery).



تأملات في كتاب

"حقيقة الموت عند الصوفية للباحث محمد الرزقي"

بقلم الأستاذ الدكتور : صالح الداسي

أستاذ علوم القرآن بجامعة الزيتونة

صدر هذا الكتاب سنة سبع وألفين، عن دار سنابل للنشر والتوزيع بسليانة وهو كتاب متوسط الحجم، قد اشتمل على ثلاثة فصول، وأشار المؤلف في مقدمته إلى أن الموت من المسائل العسيرة، التي توقف عندها الوعي الإنساني، فتجاذب القول في هذه القضية، كل من الفلاسفة وأهل الأديان.

لكن ما الذي جعل الباحث يقرّد القول بتخصيص الموت لدى الصوفية؟ وهي الإشكالية الاستباقية، التي طرحها المؤلف طرحاً ذاتياً، وافترض في الاقتناع الذاتي بأن حياة الإنسان تكمن في موته، وهي إشكالية تبدو متضاربة.

وقد اعتمد الدين لتحلية هذه المسألة، التي لها حضور ملح في عالم الفلسفة وفي علم النفس ولدى علماء الدين، وهو ما حدا بصاحب الكتاب لتخصيص الفصل التمهيدي، الذي ذكر فيه الصوفية أصحاب المنهج العملي دون الصوفية النظريين، مثل ابن عربي وابن سبعين والقونى ونحوهم .

أما المقياس الذي قاس به مدارج السالكين، فهو الاستقامة على

الشرعية والبراعة في شتى العلوم الشرعية فهما وعملا، أمثال المحاسبي والسري سقطي والجنيد وعبد القادر الجيلاني وغيرهم.

وتناول الباحث محمد الرزقي في الفصل الثاني مفهوم الموت عند الصوفية، ووفق ييحث جاهدا حول مسألة الفناء، باعتبار أن أغلب خروقات الصوفية صدرت عنهم عند مرورهم بهذا المقام، وهذا يتطلب من القارئ، أن يفرق بين الرياضة كغاية والرياضة كوسيلة، ولا بد من كبح شهوة البطن، قبل سائر الشهوات الأخرى، باعتبارها المحرك الأساسي لبقية الشهوات، فإذا ملك المريد شهواته يكون قد ملك نفسه، ومن ملك نفسه عزّ ومن ملكته نفسه ذل.

وبعد قمع الشهوات الحسية، يأتي الدور على الشهوات المعنوية، وأولها إسقاط جام النفس، وإزالة حظوظها وتطلعاتها، فالصوفية يعتبرون معركتهم مع النفس معركة متواصلة لا تنتهي، وما على المريد إلا أن يرد جماح نفسه إذا تطلعت للكرامات لأن أفضل كرامة هي الاستقامة، على نهج الكتاب والسنة، باعتبار أن الكرامة على يد السالكين ليست دليل كمال، حتى أن بعضهم يرى أن المريد لن يصل إلى معرفة الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول.

ولم يفت الباحث التعرض لأهمية الذكر، الذي يعدّ من مقدمات الفناء، فقد يرتقي الصوفي من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومنه إلى الغيبة عما سوى المذكور.

وتوصل بعد هذا إلى أن مفهوم الموت عند الصوفية، يعتبر من أهم الوسائل التي تهدف إلى الحضور مع الله، وبالتالي تمكن الصوفية من أن يحيي الحياة الأبدية.

أما الفصل الثالث فذكر فيه المؤلف مفهوم الموت الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، فتناول صور الدنيا وصفات النفس في القرآن، ومفهوم الذكر في القرآن، واعتمد السنة لإبراز نمط حياته عليه الصلاة والسلام. إن مثل هذه الكتابات، توقف في الإنسان اليوم، التوق إلى الحياة الأبدية الروحية، عن طريق إماتة الشهوات الحسية، خاصة وأن المادة في كل زمان ومكان قد تحول بين الإنسان وربه، فتبعده عن نهج الاستقامة والاعتدال، مع الملاحظة أن التصوف ينبغي أن يقرأ من داخل الإسلام، لا من خارجه، وإنه نتاج العمل بالكتاب والسنة، وفق الله الباحثين المنصفين لفهم أبعاد التصوف العملي، ليصدق فيهم "ومن ذاق عرف".



تعريفات

شعر : مختار المومني

العمل

أنشودة الحياة



الصوم

راحة الروح

والهالك الجسد

الزكاة

مال مدخر

بلا دفتر

الصلاة



إنفلات الروح
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

من قيد الجسد

الدعاء

فاكهة يافعة

في كل الفصول

النوبة

صابون معطر

تغسل أدمان الروح

دون الجسد

الميت



ARCHIVE

<http://Archive.org/Sakhrit.com>

أو حقيقة

القبر

بيت

لا يسكنه إثنان

ولا يفتح بابه

الثائرة

شعر : نجاح زقية

إلى مثقف يجلس على قارعة
مقهى ينتقد سذاجة الأنثى

كلمها ..

عن "بوشكين" و "إكثافو" و "رايتار" ..

وتامرديخ الصين .. وأحزان طر ولاة ..

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>
وأجداد الشرق .. وعشاق البادية

وحكمة ما السماء ..

وخراج الغيمة غطر حيث تشاء

وليلكة الفرات ..

قلدت من روح نيسان .. تنهشها البوم ومخالب القرصان

كلمها ..

عن الخيل والليل .. والنبوءات الكاذبة

عن لحن الخلود .. والجنة الواعدة

وأطوار "أفجين" وأحلام الهزار

لليز ألقى .. وما أروها ..

أغرقها ..



سرق الكحل من أجفانها التاعسة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

حول الليل لها ..

أوهنتها التواني ..

عذبها المرايا ..

مزقتها الحروف والمعاني الشاردة

كلمها ..

أعجبها ..

أكملها ..

قال يفتك عقل صغيرها:

- أين أنت ؟ .. بات للثورة ألوانها الزاهية

لوز القلب فيها اخضراراً ..

ألهبها الأمانى ..

أمرىكها النوايا ..

والت الوجه للزاهية

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

حدثت بالصمت ..

جادلت من خلف سنارة:

- إذا أنت أطلقت يمار الرؤى والخيال

وادركت صغيراً، صغيراً .. يقين الغرام

وكهرية الأعصاب ..

ورعشة النشوة العامرة

إذا أنت الهيئ الحصار ..

واجترت المعقول ..

ونقاط القنيش عن الخافية

وصعدت جبالا ..

ونزلت من الراية

إذا أنت مولود .. وموعود سيدنا ..

فما زلت أغث .. عن خطوقي الثابتة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أنسى .. أنسى جنوس في مرجفة ..

وتخشى العشرة القاصمة

وتخاصر كالولدان ..

وتخبرها الأحجية الغامضة

يوم تسافر كمر خزن

مصير القطعة يشغلها ..

وزهرة العباد في آنية

مضى عقد .. وعقد .. ولم تكبر

وبعد الثالث لم تفن ..

لغة الحب والهمسة الواهية

أنا الأني ..

قلبي أني ..

تلك البداية والمنتهى

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هل عندك فرق .. ما بين الحرية والجارية ؟

* الكسندر بوشكين: شاعر وكاتب روسي مولود 1799 متوفي 1837

* أكتافيو باز : شاعر ومفكر مكسيكي مولود 1914

* راينار ويلكا : شاعر عالمي مولود 1875 — براغ (ج . نوبل للأدب)

* أوجين قولفيك : شاعر فرنسي مولود 1907

الاثنين المقدس

شعر : حسين دولة

ما بين دمعته

ودمعين ..

أقف أنا

أنا المسكون بطيفها

على حافة الجرح

عاصيا مني

جاني الروح

أقصف وحيدا

مرآة الذكرى

علي القاهما

ولو دقيقتين

ما بين دمعته

ودمعين

أقف أنا ..

أنا المهموم بدكرها

علي جناح الريح

أفش وحيدا ...

في دفاتر الليل

علي أراها

تراقص في انشأء

لجمعة أو لجمين

<http://Archivebeta.sakhril.com>

ما بين لمة

ولمعين

أقف أنا ...

أنا الموحوع يبعدها

على عتبة الحلم

أقلو على العابرين

آيات قلب حزين

مولع بذكرها
وأغنية عذبة
ممزقة بين الحنين
هكذا أنا ..
أحن إليها بعد العام
الذي مر كالغمام
لم أزل أراها
كما كانت دائما
لحائي وأحايها
تلقيني وألقيها
استمع لخليتها
العذب كل اثنين
هي الآن هناك
في حضرة الله
تراقص الملائكة

تغني معهم ...

أغاني الخلود

تترنح برءائها الأيض

ملثثة بطهرها

مثل المولود

هي الآن سعيدة هناك

وأنا هنا في وحدتي

أعيش الأمرين

اليوم مضى العام

ولم نلق ...

لم نتحدث كعادتنا

عن أحلامنا ..

عن آمالنا ...

عن أفراحنا وسعادتنا

مضى العام ...

ولم تجلس في مكاننا
لم تر سر على وجه الصباح
مشاريعنا البسيطة
مضى العام
ولم نفعل ذلك
كما كنا فعل كل اثنين



وحكايتنا الجميلة
ARCHIVE
<http://Archwebat.Sukhrit.com>
ما زالت موزعة

في كل مكان كأنها المطر
ما زال الأصدقاء
ينصفون تفاصيلها
بندكريون كبيرها
وقليلها
كم كانت حكايتنا

مرافعة جلدًا كألفا السفر
وكم كنت مرافعة أنت
وكم كان قاسيا هذا القدر

في لحظة واحدة

فرق بين قلبين

ماذا أقول لك

نامي هناك نامي

ملققة بجلاباب الله

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

معطرة برفحة

نامي هناك فأنت الآن

في حضرة المولى

مدللة كالملاك

مخرصة برعاك

انسي كل شيء

فقط اذكرني انك في القلب تعيشين

فروع البكاء المكفن

شعر : هشام حنيرة

الإهداء : إلى المرحوم أخي علي والفكالي

قصائدي كلها

مراحت عليك

تضمنتك

ARCHIVE

http://ArchiveBeta.Sakhril.com

حضنتك وهامت

وذامت ونفت

وعمت بك

قصائدي منك

ومنك أجاج الجروح

والأقوال

وليلي عند الحلول

من وسوس ،
من أقلس ،
من صلب الخرد من أعلى النهر ،
من البكا المكنن ،
من أقصى القصص
قتال قصائدي



أعراص تأثر ،
ARCHIVE

<http://Archivebeta.com/hrit.com>

فيها الأواني والموابي ،

والمعاني اللاذعة
حنانة حالي أشعاري
أكناني التي هوت
في ضربي ،
وحربي ،
واحتلالي

الشمس تتكث منظر ك

على مشارف الزوال

بدلت قصائدي

في وسع السواد

فحفضك وأنشدتك

ذراتك في لهما والخلالي



حريق القوارب التي أغرقك

ولدموعي لن تستطيع إطفائي

ينشرني العجيب شظي

على سطح

أدكار البكا...

النماز عيني

مقلوبة قفرغ

ولدموعي مبنوثة

في وسع وحلي

بين ضراعي

فراغك تلحضي ..

ويدر فل ..

فراغك يلسع جسمي ..

ويدرج

مقامع الفقد وحزني

ولعوا بشمسي

<http://Archiv-beta.Sakhril.com>

أراقوا ظلامي

آلامي فيها غرقى

في قاع أعماقي وقرت

معها مرشنة الليل تصبغ .



يدها .. !

شعر : مصطفى النجار

حلب - سوريا

قالت يدها التي تشبه كناسرا
يفش عن فضا. ناصع الياض
قالت وهي تداعب خدود القصائد
وضفائر الكلمات
قالت يدها بعد أن كانت
مضمومة على جناحها
وبعد أن خرجت يضا. من غير سو
سوى ما علق على أطرافها
من علو مدمن ..
ومن جرح في السبابة !
قالت يدها
وهي تلوح لأمرئال المنتظرين
وإلى عيون المنعبين مثل سماء
مثل قطرة أولى فوق أفواه العصافير

قالت يدها وهي تحفز بامنيار
 على مزاولته الحب الاستثنائي :
 غرفت لك .. من بعة الفجر
 لعينيك ألف صباح
 وعدى " من أقحوان
 غرفت لك مطرا تناسل في رواق الذاكرة
 حتى تلالا من وابله سماوات الندى
 وقتاديل العشب، وأسراب القصائد
 فأنت الرعشة الأولى
 وأنت الرعشة الألف
 الرعشة التي لا تحصى بأغصان الروح
 وأنت تفح القمر الطفولي
 الذي نام تحت ضوء الرعاد
 وهب خارجا من قميص القنوط
 لحوك .. لحوي .. لحو العالم
 مثل قافلة من أيادي الأطفال
 وهي تكذب أبجدية الفرح !

ويحلو اللقاء

شعر : صابر العبيدي

تعالوا بأرضي سيحلو اللقاء. وتخلو التلاقي بأرض النقا.
يسود الونام إذا ما التينا وتخلو بطيب القلوب الصفا.
بفكري بكورة حب وصوت ألا إن صوتي يقر الولا.
وصوتي سيصدح برغم الضجيج بعمر البلاد ودون عنا.
وحبا يطول ويغزو المحيط عنيذا إذا ما تلقى الرجاء.
كنا علمتي النجارب حبا وفيما برغم سدود الجفا.
فعشتي لنوس جي يفوق حدود المدي وجنوم السما.
لنوس غر وعلم وفكر وفيما يكون سمو العلا.
يضع أربعا كعطر يفوح على وطني في غير المسا.
وأعلنت للشعب نبضي وصدقني وحبري دمي في سبيل الوفا.

إذا ما تجلى شعوري لشعبي وأظنبت في دكر نظمي سخاء.
 وكلفت نفسي بنفسي فعولن وأرهقت إلهام روحي عنا.
 فذاك لأنني فخور بعز أتي من رجال أحنوا الفدا.
 وإني فخور.. وبالأثما. أقول: تعالوا أسود الجلا.
 نسور الأعالى وصد الأعادي بنوا صرح مجد يشع ضيا.
 تعالوا فهذه أرضي وخصبي سينع شعري جلا ودا ما.
 وتخفض روحي ويكسو كلامي نشيد كهوت نشيج البكا.
 وتونس إن طال نظمي يظل قصيدي كطيما وداون ارتوا.



الأمل

بقلم : ملاك الحاجي

فقط الأمل ...

لم يكن لديها أكثر من الأمل لكي يحس بمشاعرها تجاهه.
كان باردا كالثلج وجامدا كالصخر وصامتا كالتمثال ... وكانت
دافئة كالشمس وحيوية كالفراشة .. والأهم من كل هذا أنها كانت تحبه
بعنف ..

عندما اكتشفت عمق مشاعرها تجاهه، كانت تغالط نفسها وتحاول
الهروب من هذا الشعور الذي يحتلها حتى الصميم. كانت تقاوم
عواطفها وتكبت مشاعرها ولكن دون جدوى فقد كانت تندفع إليه
بتهور .. وكانت على ذلك تخاف أن يقرأ في عينيها وفي تصرفاتها حبها
الجارف فيسخر منها، فالأصل أنها هي الأثنى وأنه من المفروض أن
يندفع هو إليها ويخبرها أنه يريد لها ..

كانت تحس انه يحبها ولكن الكلمات كانت تختنق في صوته المتهكم
وكان الحب يفرق في عينيها المكابرتين، ورغم كل حيل الأثنى التي
ابتدعتها كان من الصعب عليها أن تنتزع اعترافا من بين برائن صمته
القاتل.

كان غموضه يغيظها بحيث كانت كل مرة تقول أنها ستنساه وأنها
ستبتعد عنه ولكن مقاومتها كانت تنهار وكانت تعود إليه وشوقها
يزداد مرة عن أخرى.

كانت حين تختلي إلى نفسها تفكر " لم أحبته ؟ لم هو ؟ " كان السؤال يطرح نفسه دائما عليها، فهو ليس الرجل الذي رسمت صورته في خيالها وأملت أن تلتقيه بل والأغرب أنه يكاد يكون مختلفا عن هذه الصورة..

لم هو ؟ لقد صادفت في طريق حياتها كثيرين لم يدعروا جهدا للتقرب إليها ولا وسيلة لاستمالتها ولكنها لم تكن تحس بوجودهم. وهو ؟؟؟ عاد فحاة من الماضي واشتبك طريقهما غير مرة صدفة في لعبة ساعرة للقدر.

في البداية لم يكن بالنسبة إليها أكثر من صديق حرك وجوده صوراً من الذاكرة ولم يدر بخلدتها لحظة أنه عاد من الماضي ليبقى في حاضرها...

لم يكونا يرتبان لمواعيدهما فالقدر تكفل بذلك غير مرة. وقد سمحت لها الدقائق القليلة، التي كانت عمر كل لقاء بينهما، أن تكشف أبعادا جديدة لشخصيته... لقد تغير كثيرا... لم يعد كما عرفته صار أنضج ومغمورا بالرجولة وكان وجوده يمنحها الأمان والسكينة.

في البداية كانت تحس به يتسلل إلى قلبها مهدوء وكان يفتعل الفرص للقيها وكانت تسعد لذلك ولكن غريب أمره هذا المخلوق الذين يطلقون عليه اسم الرجل، فهو عندما يكون صديقا نختار نحن بنات حواء لإيجاد طريقة لإسكاته وحين يصير حبيبا نستमित بخنا عن وسيلة لدفعه إلى الكلام.. فحين أصبحت تتفاعل مع مشاعره تجاهها انقلب

حاله فحاة وأصبح صامتا، جامدا وكان حين يتكلم بين صمت وصمت تنهك بحثا في كلماته الشحيحة عن معاني حب قد تكون مخبأة.

كانت تنكر على نفسها هذا الخليط من المشاعر الذي كان يمزقها. فهي كانت دوما عقلانية وكانت لا تؤمن بسلطة الحب على العقل وكانت في ما مضى تعجب من قريناتها يفقدن عقولهن أمام كلمة أحبك قد تكون زائفة. واليوم هاهي تفقد عقلها حتى دون أن يقول لها شيئا وهاهي تعيد النظر في فلسفتها بعدما قلب هو كل موازينها وأخل بكل معادلاتها.

والآن ما عساها تفعل ؟ إنها تحبه يحنون أفقدها توازنها، فقد أصبحت أكثر اقتحاما في معاملتها له وكانت لا تتوقف عن استفزاز الرجل فيه عله يتكلم... والأدهى أنها لم تعد تبالي بالأضواء الحمراء التي تضيء في وجه شرقية عاشقة لتذكرها أنه طالما لم يعلن لها عن حبه فالأجدر لها أن تلزم الحذر والصمت.

كانت في لحظات يأسها الكثيرة تفكر : "هل تمضي في حبه حتى النهاية؟ أم هل تنسحب بهدوء ؟ وهل تترك له السبيل ليزداد إغالا في حياتها؟ أم هل توصلد الأبواب دونه؟ هل وهل؟ تساؤلات كثيرة تريدها حيرة انتشلها منها صوته الذي تذوب فيه كلما قرر أن يتكلم: "أراك في الغد؟" وهل عنده شك أنها تريد أن تراه في الغد وبعد الغد وكل ساعة من كل يوم . "طبعاً" .. إجابة بديهية لسؤال تتحرق دائما

لسماعة. مرت مدة طويلة قبل أن يطلب منها ملاقاتها. لقد أخبرها أنه يريد أن يحدثها في موضوع مهم.. تراه سيقولها ؟ تراه سينهي أياما من الحيرة والانتظار؟ أم ؟؟ أم تراه سيلزم الصمت كعادته ؟ أم تراه سيخبرها أنها لا تعني له شيئا ؟؟؟ لا .. لا يعقل.. لا يعقل ان تكون مشاعرها خاتمتها وصورت له عالما من الوهم وحبكت لها قصة من الخيال..

تصارعتها المشاعر بين سعادة برؤياه وقلق من أن لا يكون يجيبها كما أملت وخوف من المجهول الذي ينتظرها غدا.

وهذا الغد ما باله لا يأتي؟.. وهذا الليل ما باله لا ينقشع؟.. وهذه الساعة ما بالها تتباطأ؟.. كأنما الزمن يتأمر عليها ليزيد الضغط على أعصابها.

لم تستطع النوم من شدة انفعالاتها، وما كادت الشمس تعلن ولادة اليوم الجديد حتى أفاق. ترى ماذا ترتدي له اليوم؟ ترى فستانها الأحمر؟ أم تنورها الوردية ؟ أم يا ترى بنطلونها الأزرق ؟ .. إنه لا يحب اللون الأحمر، هكذا قال لها ذات مرة، وهي لا تريد أن تكون رسمية بينطالها الأزرق بل تريد أن تكون أنثى كما لم يرها من قبل.. سترتدي تنورها الوردية وستشبك وردا في جدائلها الحالكة. أمضت ساعات أمام مرآتها وشردت بنظرها في حيرة.. هل سيتكلم ؟ هل سيقولها أخيرا ؟؟ .

خرجت إلى موعدها وقلبها يسبقها وما كادت تلمحه من بعيد حتى

لوحث له بيدها. اقترب منها ومد يده مصافحا وباتسامة عريضة همس في أذنها برقة "إنك رائعة اليوم". ملأها عبارته بالسعادة وشي بها ارتجاف يدها الصغيرة التي تحتضنها يده الدافئة.

اختار لهما ركنا هادئا وجلس بمحاذاهما. كانت عيناه تحتضنانها في حنان وكانت تحس بالدم يروي وجنتيها. خيم عليهما صمت ثقيل قبل أن يقول: "إنني فعلا مرتبك ولا أدري من أين أبدأ الكلام. فقط اعلمي أنه استلزمني وقت طويل كي استجمع قوتي وأرتب أفكاري لأقول ما جئت لأجمله اليوم. بدون دياجة، اعلمي أنني أحبك.. واعلمي أنني أحبيتك دوما منذ كنا ندرس معا.. أحبيتك دون أن تعلمي ودون أن أحرؤ على البوح بمشاعري.. كنت أراك كل يوم ولكنك كنت بعيدة عني.. لم تكن عينك ترفغان من على الأرض ولم تكوني تحسين بوجودي.. لم ترفعي إلى عينيك أبدا ولم يخاطب لساني يوما.. كان صوتك لحنا أردت دائما سماعه وكانت ابتسامتك إشراقة تفت دائما لرؤيتها.. كنت لا أقوى على اقتحام أسوار حجبك العالية خوفا من أفقدك واكتفيت بوجودك أمامي حتى دون أن تشعرني بما أكنه لك.. كرهت أيام العطل والآحاد لأنها كانت تحرمني من رؤياك.. وكانت ساعات الدرس من أمتع ما يكون لأنها تقربني منك وتمنحني فرصة لأجلس بجانبك.. إلى أن جاءت أيام الجامعة وتباعد طريقانا وانقطعت عني أخبارك.. غير أنني ظللت أبحث عنك في وجه كل امرأة أقابلها وعن موسيقى صوتك في كل لحن أسمعه وعن ابتسامتك مع كل صباح

جديد.. لكنك أبدأ لم تكوني هناك.. كنت أضحك من نفسي في كثير من الأحيان فأنت لا تعلمين بوجودي ولا تدركين مشاعري وأنا؟ أنا مستمر في البحث عنك دون يأس. فقد كنت بالنسبة لي الأنتى المثالية التي أخضعت لمقاييسها كل النساء. وعندما التقيتك صدفة بعد سنوات من الفراق تداعت عندي كل مشاعر الماضي وودت لو أستبقي يدك في يدي عندما صافحتني واختلقت الفرص لأراك أكثر ولأقترب منك أكثر. وأحسست بك تتحاوين معي وهو ما ملأني سعادة. ولكن .. كنت كلما اقتربت منك أكثر .. وأحسست بك تتحاوين معي وهو ما ملأني سعادة. ولكن ... كنت كلما اقتربت منك أكثر كلما اكتشفت أنك مختلفة عن المرأة التي أحببت وحملت صورها معي إلى أبعد حدود الأحلام.. لقد صدمت عندما لم تعود كما كنت.. غيرتك الحياة كثيرا وطمست معالم البراءة التي أحببتك لأجلها.. أصبحت طموحاتك كبيرة وتطلعاتك أكبر.. واندجمت في نسق الحياة المتسارع وصوت امرأة أخرى لا أعرفها... لا يعني هذا أنني توقفت عن حبك، سأكون كاذبا إن قلت ذلك ولكنني في ذات الوقت أصبحت عاجزا عن التعامل مع المرأة الجديدة التي أصبحتها، وكنت كلما أردت الاقتراب أكثر ملأني الخوف منك ومن شخصيتك الجديدة.. لا أريد أن أكون فظا ولكنني فعلا ممزق بين حيي لك والصورة التي أردتك أن تكونيها.. ولقد حاولت مرارا أن أخبرك عن عدم قدرتي على التحاوب مع المرأة الجديدة التي أصبحتها... لست أريد أن أغريك حتى لو كنت

أتمنى ذلك. هذا كل ما لدي لأقوله.. أريدك بقوة لكنني أريدك الصورة التي ارتسمت في وجداني منذ سنوات المرأة الهادئة الوديدة، الملاك البريء."

لم تستطع الكلام وحاولت بكل ما لديها من قوة وكبرياء أن تتعلم شتات نفسها التي تبعثرت مع كلماته وتكلمت بصعوبة لتقول: "أستاذك، يجب أن أعود إلى المنزل". وانتصبت واقفة فأمسك يدها قائلاً: "أرحوك.. أجابته بصوت مختنق: "من فضلك، دعني أرحل." كانت تريد العودة إلى منزلها لتعيد ترتيب أفكارها.. كانت طوال الطريق تسترجع كل كلمة قالها لها.. لا تذكر أنها سعيدة بما سمعته منه، فأخيراً أخبرها أنه يحبها.. أخيراً أخرجها من حبرتها وأبدل قلقها وانتظارها سعادة.. ولكن أهى فعلاً سعيدة؟؟

ما إن وصلت إلى منزلها حتى اتجهت إلى غرفتها وأرتمت على سريرها محاولة الارتخاء.. جالت بنظرها في سقف الغرفة كانت مضطربة وكانت تبحث جاهدة عن السكينة لتستطيع التفكير .. إنه يحبها ولكنه يريد بها بمواصفاته.. وهي تحبه ولكنها لا تريد أن تتخلى عن طموحاتها وأحلامها.. هل يجب عليها أن تتغير لإرضائه؟ ولم لا يقبلها كما هي بكل ما فيها من تغيرات؟ وهي ألم تقبله كما هو دون أن تنبش في مدى اختلافه عن الصورة التي رسمتها سلفاً لرجل أحلامها؟ لم يراها بطريقته الذكورية الساعية للامتلاك والرافضة لطموحاتها وسعيها للتطور؟ لم لا يراها بعيني قلبه ؟ .. هل يقف الحب أمام رؤى رجل شرقي يبحث

فقط عن امرأة تكون له تبعا؟؟ هل يعجز الحب مهما كبر على تضيق
الهوة التي اتسعت بينهما؟؟

أسئلة كثيرة.. إنها منذ عرفته وهي لا تنفك تتساءل عن كل شيء إلا
عن شيء واحد ما الذي تريده بالتحديد؟ الاستمرار؟ أم الانسحاب؟
إن استمرت فمعناه إما التنازل أو الصراع المستمر وإن انسحب؟؟
ولكن هل تستطيع فعلا الانسحاب؟؟ إنه قرار صعب ولكنها
بانسحابها تكون على الأقل أبقت على صورة جميلة لمشاعر كتبتها
كلاهما خوفا ومكابرة.

لم تجد بدا من الاعتراف بينها وبين نفسها أنها ستكون حمقاء بقرار
انسحابها وأنها قد تمضي وقتا طويلا قبل أن تشفى من ألم ابتعاده عنها
ولكن يجب عليها أن تختار الآن.

قامت من سريرها واتجهت إلى طاولتها وبجنت في أدراجها عن
أوراقها الوردية المعطرة التي كانت تأمل دائما أن ترسل له فيها أرقى
وأجمل عبارات العشق. واليوم هامي ترسلها له لتضع نهاية لقصتهما.
أمسكت قلمها بيد مرتجفة وراحت تخطّ له:

"سأبتعد عنك لأنني أحببتك. ولأنّ الحبّ كبير منّي ومنك وأكبر من
الفوارق بيننا، سأرحل منك إليه. إن حبك أصبح وطني الذي أسكنه غد
لم يعد في عينيك مكان لي ولم تعد يداك المرتجفتان بقادرتين على إدفاء
يدي. سأرحل الآن والآن فقط وقد نلتقي مرة أخرى صدفة في تشابك
طرقات الحياة، حينها سأذكرك أنني رحلت لأنني أحببتك أكثر."

المسحوق العجيب

بقلم : نجيب البركاتي

الإهداء : إلى علي البركاتي احتراماً وتقديراً

أنهينا صلاة الجنائزة، رفع الجميع رؤوسهم ثم تفرق البعض وتقدم آخرون من المحمل استعداداً لرفع الميت .

كفكفت دموعاً غزيرة وأنا انظر إلى من سيحمل إلى مثواه الأخير .
لم أكن أصدق أن من تحويه الأخشاب هو صديق العمر، صديقي الذي لعبت معه في أزقة القرية ودروبها والذي طالما بنيت معه قصوراً من الرمل على ضفاف النهر واقتسمت معه أعقاب السحائر وقدنا معا مظاهرات صاخبة بين أسوار الجامعة .

رحلة عمر كامل انتهت قبل سن الخامسة والثلاثين بشهور .
في منتصف ليلة مات صاحبي، إثر حادث فضيع وكتب الطبيب في تقريره "الموت ناتج عن كسر بالجمجمة ونزيف داخلي".
اقتربت من المحمل، انفضّ الجميع احتراماً لرغبتي في قراءة الفاتحة على الجثمان واعترافاً بحق صداقة طويلة يعرفها القاصي والداني .
فجأة خيل لي أن الجثة تتحرك، تعوذت بالله من الشيطان وقرأت ما تيسر من الذكر الحكيم بعد الفاتحة .

تثبت في الجثة الهزيلة، الساق اليمنى تتحرك والرأس يجاهد ليرتفع

والبطن يعلو وينخفض.

قبل أن يرفع الجثمان الثفت إلى من حولي، كان مودب القرية على يميني و"بشمير الوصيف" على يساري ومن خلفهما كان أحدهم يحدق فيما انبرى عم الفقيد يرّد: "كان رجلا لا مثيل له يا حسرة على شبابك يا بني".

كنت أرى وأسمع، لست في حلم ولست أهذي، أعدت النظر إلى مودب القرية الذي تأهب لإعطاء إشارة رفع الجثمان.

نظرت في عينيه تماما واشرت إلى ما أرى فلم ينبس ببنت شفة. مرت لحظات كالدهر وأنا أريد أن يكشف الجميع ما أرى لكن ما من ردة فعل.

ورفع الجثمان وبدأنا نشق طريقنا وسط الأنهج، فجأة سمعت ضحكة عالية، دوت الضحكة حتى ارتجت لها المباني وهزب حصان يجر عربة فسقط الشيخ العجوز متأوها لاعنا الدابة وبني جنسها.

نظرت إلى من حولي، كان الجميع في صمت ووجوم. دقائق مرت، حسبتها دهورا ثم دوت الضحكة من جديد وتلاها الصوت القوي الهادر "ثامر يا أعزّ الصاحب، أنت تسمعي، أعرف ان صوتي قوي مزعج لكنهم لا يسمعونه، أنت الوحيد الذي يسمعه وما رأيته إثر صلاة الجنازة حقيقة لا يعترئها شك، تعمدت أن أتحرّك عندما لمحتك تقترب مني، سأبدد كلّ تساؤلاتك، أنا الآن أقرأ أفكارك وأعرف ما يدور بخلدك.

لا تتعجب .

كان الكلام ينثال قويا واضحا كان المتكلم يقف أمام مصدح وكل الجهات تردد صدى الصوت القوي الجمهوري.

شعرت في لحظة برهبة وظننت بي مسّا لكنه طمأنني قائلا:

"أبدا يا صاحبي ما بك مس أنت سليم معافى"

قهقهه صديقي وسط ذهول وتساؤلات غريبة استبدت بي ورهبة ما لها حدود رغم ما سمعت .

"قلت لك سأبدد تساؤلاتك فلا تعجب، هكذا قال ثم أضاف بعد برهة" هل تذكر الخليط الذي كنت أعده، مسحوق من جماجم الموتى ونباتات جبلية مع ثنائم وتعاويذ كنت أقرأها، لقد نجحت تجاربي وحولني المسحوق إلى ما ترى، سأقف اثنين وسبعين ساعة على عتبة العالم الآخر، بين الحياة والموت.

وخلافا لما أورده الطبيب في تقريره أعلمك أن جمجمتي لم تتكسر ولم يحصل لي نزيف، كل ما وقع هو هبوط حاد في دورة الدم وشبه توقف للدماغ عن عمله وأكبر طبيب ما كان له أن يثبت غير أنني أصبحت في عداد الأموات.

حكاية الحادث هي كذبة كبرى.

كنت في الشاحنة قبل الواقعة الأليمة وعندما أدركت أن السائق المحمور يتجه بنا صوب هاوية عميقة بعدما اصطدم بحافلة شربت المسحوق وسبقت الجميع إلى العالم الآخر، كنت أقف على عتبه فيما

تجاوزني الجميع إلى حيث العدم والفناء.

كنت أرى وأسمع ولا أتكلم، بعد اثنين وسبعين ساعة من تاريخ الحادث سأعود إلى عالم الأحياء، مضى منها الآن أربع وعشرون ساعة في إثبات سبب الوفاة واستكمال إجراءات الدفن وبقي ثمانية وأربعون ساعة، سأعود بعدها حيا معافي أسعى بينكم كما كنت متغلبا على الفناء والعدم، سيكون اكتشاف أثر المسحوق حدثا عالميا، سأقبض مئات الملايين وسأتزوج فاطمة ابنة الأكابر وسأعقد المؤتمرات الصحفية وسأفند كل ما كتبه الصحف عن الحادث.

سأكشف حيثيات كل شيء يا صاحبي، ما شاهدته إبان الحادث كان مرعبا رأيت أشلاء بشرية تتطاير، جبال من النعمة والحزن والرعب رأيتهم يتطايرون حتى الأفكار والمشاعر لها أشكال وأحجام، شاهدت بألم عيني رأسا مقطوعا عن الجسد، كان الصوت المنبعث من الفم حادًا قويا وكانت العينان تصوبان من علو بحثا عن الجثة وسط الأشلاء، ثم سمعت صوتا شبيها بصوت العويل بعدها اختلط الغبار بالدماء بالبخار الأسود بالدم القاني كان مشهدا مرعبا.

عندما دوى الانفجار تصاعد ثدي امرأة متهدل في الجو، صعد الثدي عاليا حتى كاد يختفي ثم سقط وبدأ الحليب يتزد من الحلمة، حليب ناصع البياض فاتر.

كان الثدي بعدما سقط كإسفنجة مبللة بالماء وصوت رضيع ينبعث من قريب والثدي يزحف صوب الرضيع وعمّت بعد ذلك أصوات

متداخلة ورأيت مخلوقات غريبة واشباح مخيفة تنقض على الأشلاء البشرية فتلتهمها وتطير بها في الفضاء.

انقطع الصوت حالما دخلنا إلى المقبرة.

وضع المحمل قرب القبر وظلّ المؤدب يردد مع جمع من الرجال سورة "يس" فيما تكفل آخرون بقبر الميت .

فكرت في إيقاف هذه المهزلة، خفت أن اتهم بالجنون وان أرمى بالكفر والزندقة وفكرت فيما ستقوله جاري العانس بلوى كما يحلو للجميع تسميتها : "هذا الشيوعي القدم عاد له غيه وكفره، يا ويله إنه من الناكرين للموت والبعث".

آخر ما سمعت حين هيل التراب على اللحد ضحكة مكتومة وتنهيده كبيرة.

انفضّ الجميع ورجع الأحياء إلى دنيائهم، أقفرت المقبرة تماما وبقيت قرب قبر صديقي الميت الحي، أغلب حزنا ودهشة لامتناهين واما قد يأتي وقد يتلاشى كسحابة الصيف.

انتظرت صوتا قد يأتي من الحفرة التي يخافها الأحياء وتخيلت الملك نكير بمسك بتلايب صاحبي وهو يجادله والمسكين يستقوي بما حفظه من منطق الفلاسفة وجهابذة المعتزلة ومبادئ ماركس حتى أشرفت شمس النهار على المغيب فغادرت المقبرة وفي القلب لوعة ما لها اختام وحيرة قاتلة وتفكير متواصل في من تركته في قلب الظلام الدامس.

يوما بعد دفن العزيز الراحل جلست على قطعة من الآجر قبالة

القبر.

كنت أنتظر أوبة الميت ودقات قلبي تتسارع ورنين كلماته التي تلاها عليّ في المنام تدقّ في أذني " الساعة الخامسة انتفض واكسر اللحد، ستجدني أمامك كفكف دموعك ولا تخف ثم لا تنسى ان تحضر لي ثيابا تليق بعودتي للحياة، سيصدم الجميع لو ظهرت لهم في الكفن الشبيه بحجة الشيخ مسعود" .

اقتربت من القبر، أشعلت عود ثقاب فلمحت بعض الديدان الخارجة من حفرة صغيرة تحت البناء الجديد.

كانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحا. أشجار السرو المخاذية لسور الجبانة تتمايل بفعل الريح والعلم فوق مقام ولينا الصالح يحدث صوتا مفزعاً. تبادر إلى ذهني قول اقس بن ساعدة الأيادي منذ قرون "من مات مات ومن فات فقد فات" .

في حدود الرابعة صباحا ارتعدت فرائصي على صوت انين خافت وفجأة قررت أن أوقف المهزلة.

يجب أن اعلم السلطات، ماذا لو تجاوزت الساعة الخامسة ولم ينهض الميت من قبره.

لكن من يصدقني ؟

الإعلام الجهوي والتنمية

متابعة : عمر الكتراري

ضمن سلسلة " منابر الإتحاف " وبالتعاون بين المجلة والمندوبية الجهوية للثقافة والمحافظة هلى التراث واللجنة الجهوية للثقافة انعقدت يوم الجمعة 22 فيفري 2008 ندوة تحت عنوان "الإعلام الجهوي والتنمية" جرت أشغال هذه التظاهرة بين أحضان الطبيعة الخلابة في عمق جبل برقو اقيم مركز عين بوسعدية .

وقد حضر لتأنيثها جمع من الإعلاميين من الإذاعة الوطنية وإذاعة تونس الثقافية والإذاعة الجهوية بالمنستير والإذاعة الجهوية بالكاف والإذاعة الجهوية بتطاوين وآخرون من صحف ومجلات وطنية وجهوية : جريدة الحرية- جريدة القنال- جريدة الصحافة - مجلة مرآة الوسط- مجلة مرآة الجنوب بالإضافة إلى مجلة الإتحاف.

افتتح السيد والي سليانة الأستاذ مراد بن جلول اشغال الندوة بحضور الأستاذ الحبيب الدريدي الكاتب العام للجنة التنسيق مبينا أهمية الإعلام عموما والإعلام الجهوي في دفع المسار التنموي ودعمه بالجهات من خلال إبراز مقومات التنمية والتعريف بها وكشف نقاط القوة في كلّ جهة حتى يقع استغلال كلّ الطاقات من أجل تقدّم الإنسان في هذه المناطق وازدهار الوطن .

ثم تناوب على أخذ الكلمة ضيوف المنبر تتقدمهم السيدة مديرة

المعهد الوطني للصحافة وعلوم الأخبار في أكثر من عشر مداخلات أبرزوا فيها رسالة الاعلام الجهوي وتحديات القيام بالمهمة الاعلامية في الجهات بالإضافة على تجاربهم في مواقع أنشطتهم وما تميزت به من نجاحات رغم الصعوبات ومحدودية الإمكانيات البشرية والمادية واللوجستية.

ما يجب الإشارة إليه على هامش هذا اللقاء هو ما يتحلى به رجال الإعلام الجهوي ونساؤه في كل الجهات والمواقع من صبر وإصرار على النجاح في إنجاز المهمة مما يرقى بهذا الجهد المحمود إلى درجة التضال الوطني والمساهمة بفاعلية واقتدار في مسيرة تونس المظفرة.

وللأمانة نقول إن بعض ما سبق من مداخلات على أهميته جانب الموضوع المحدد للتدوة كما أن التنظيم كان بحاجة إلى مزيد من الحيك ليكون أكثر تيسيراً للإنجاز والملاءمة للأهداف المنتظرة.

بعطر الصنوبر والكيليل وتحت شمس ربيعية دافئة ودعت سليانة ضيوفها وفي الوجدان توفى إلى الأفضل وأمل في غد أكثر إشراقا.

